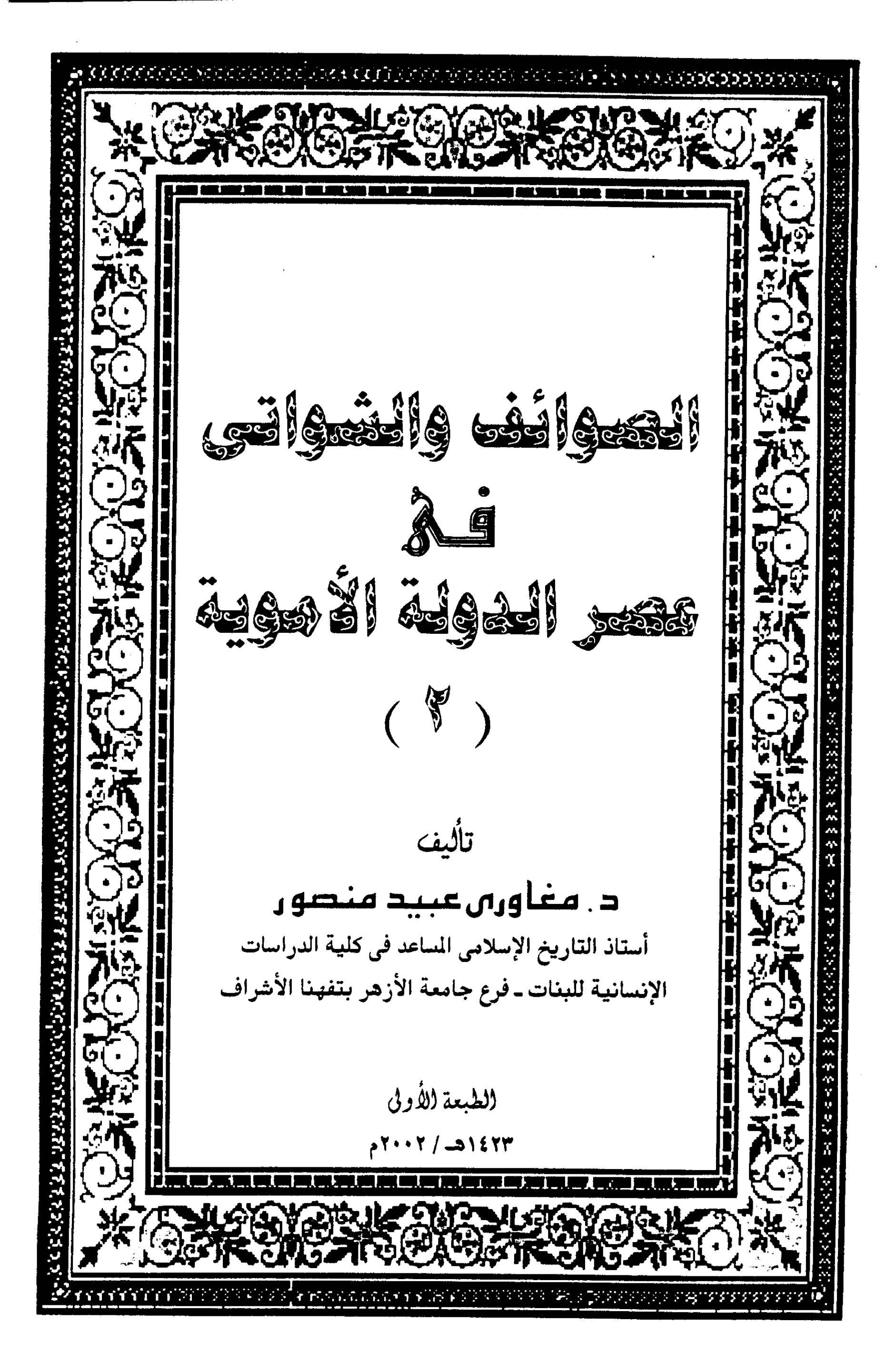


# الصوائف والشواتي في عصر الدولة الأموية

( ٢ )

تأليف

د. مغاوري عبيد منصور

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد في كلية الدراسات
الإنسانية للبنات ـ فرع جامعة الأزهر بتفهنا الأشراف

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م





# مقدمة

الحمـــد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

**وبعد** ،

فهـــذا هـــو الجزء الثانى من بحثنا فى " الصوائف والشواتى فى عصـــر الدولـــة الأمويـــة " ، وقد سبق نشر الجزء الأول منه فى عام ١٩٩٣م ، وتضـــمن عهد معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية. وفـــيه عرّفـــنا بالصوائف والشواتى على أنها حملات حربية فصلية ، تَخْـــرج مـــن بلاد المسلمين صوب حدود البيزنطيين ، لإشعار هؤلاء بـــيقظة المسلمين ، وليخبر الجند الإسلامى حدود تلك البلاد ودروبها، لتكون هذه الحملات بمثابة ميادين للتدريب والاستخبار دائما. بالإضافة إلـــى شَـــغْل البيزنطييـــن دائما ــ فى عقر دارهم ــ بدفاع مستمر لا يفكرون معه فى الإعداد لغزو بلاد المسلمين .

وإذ لـــم يـــبق للمســـلمين ــ بعد زوال دولة فارس ــ من عدو يهابونه سوى البيزنطيين ، فقد شُغل الأمويون طوال عصر دولتهم بهذا الجانب ، وأولوه جل اهتمامهم ، ليحققوا ما يطمحون إليه من الوصول للقســـطنطينية عاصـــمة البيزنطييـــن أولا . أو ليأمنوا ــ على الأقل ــ جانـــب الروم ، العدو التقليدى لهم من جهة ثانية وبخاصة وأن معظم



ممتلكات الروم في الشام ومصر وشمال إفريقيا قد ضاعت منهم وصارت في حيازة المسلمين .

ومن جهة ثالثة كان هناك نوع من السباق بين الأمويين والبيزنطيين، وبخاصة في الميدان العسكري ، حيث حاول البيزنطيون الحفاظ على تفوقهم العسكري ، كقوة لها تاريخها من قبل، وعليه فلم يتوانوا في محاولات استرداد ممتلكاتهم التي انتزعها منهم الأمويون في شتى البقاع .

وفي المقابل جهد الأمويون في الحفاظ على هذه الأقاليم التي انضافت إلى دولتهم ، فسعوا إلى إثبات التفوق العسكري على عدوهم الذي يترصد لهم، وبخاصة بعدما تأسست للمسلمين قوة بحرية دحرت أساطيل الروم ، وقضت على سيادتهم البحرية التي كانت لهم من قبل . وأصبح الصراع بين الدولتين يدور برا وبحرا على قدم وساق .





## الصوائف والشواتى بعد وفاة معاوية

شــهدت فــترة خلافــة معاوية بن أبى سفيان (٤١ ــ ٦٠هــ) اهــتماما بالغا بالشئون العسكرية تجاه البيزنطيين ، حيث فطن معاوية إلى أهمية هذا الاتجاه، بعد أن أكسبته مدة إقامته الطويلة فى بلاد الشام واليا عليها خبرة بشئون أعدائه ، ولذلك كان أول ما فكر فيه عند توليه الخلافــة، نقّــل عاصمته إلى دمشق، ليكون على مقربة من حدوده مع الروم، طبعا بالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بشعبيته فى بلاد الشام، وكوْن خصومه من العلويين فى أقاليم الحجاز والعراق .

ثم ابتكر معاوية سياسة الصوائف والشواتى تجاه الروم للأسباب الــتى سبق ذكرها . ولم يكتف بتلك السياسة، بل كانت تمهيدا لحملاته العســكرية الكــبرى صــوب القســطنطينية ، التى تمثلت فى حصار القســطنطينية الأول (٤٩ ــ ٥٠هــ) وحصار القسطنطينية الثانى، أو حرب السنوات السبع (٥٤ ــ ٦٠هــ) .

وفــى أثناء ذلك كله كانت حملات الصوائف والشواتى مستمرة، صــيفا وشــتاء، وبــرا وبحــرا، حــتى والجند الأمويين محاصرين للقســطنطينية، وبهــذا فقد تسبب الأمويون فى شل فاعلية البيزنطيين العسكرية، وألهوهم بالدفاع عن عاصمتهم ، حتى لا يبادروهم بالهجوم، فكانــت الحملات البرية تخرج إلى أسيا الصغرى، والحملات البحرية تساند حصار الأمويين البرى للقسطنطينية .



على أن القسطنطينية أثبتت للأمويين قوة تحصينها ومناعتها، في ذات الوقت الذي أثار فيه الهجوم الأموي عليها الشجاعة والاستبسال في نفوس أبنائها، للدفاع عن مدينتهم وحضارتهم ودينهم . وتقول بعض المصادر إن أهم عامل أنقذ المدينة ، هو "النار الإغريقية" التي كان قد توصل إلى اختراعها سوري نازح إلى القسطنطينية ، يدعى "كالينوكوس" فقد كانت السفن البيزنطية تقذف بهذه النار سفن المسلمين وصفوفهم، فتفتك بهم، ولا يطفئها الماء، بل يزيدها اشتعالا .

غير أن مصادر أخرى تُرجع السبب في فشل الأمويين أمام أسوار القسطنطينية إلى موقعها الجغرافي، وطبيعة التيارات المائية التي تحيط بسواحلها ، والحقيقة أن هذه العوامل جميعها قد تضافرت لتحول دون تحقيق القوات الأموية هدفها .

في تلك الأثناء (٦٠هـ) كان معاوية قد بدأ يحس بقرب نهايته، وأدرك أن جهوده في الحصار قد استنزفت الكثير من جنده وعتاده، حيث يقدر البعض عدد من فقد من الجند بثلاثين ألفا، فقرر الدخول في مفاوضات مع البيزنطيين لسحب قواته . وأرسلت القسطنطينية إلى دمشق وفدا لهذا الغرض، على رأسه البطريق يوحنا وقد نجحت المفاوضات في توقيع صلح بين الدولتين ، مداه ثلاثون عاما ، أو أربعون عاما ، حسب بعض الروايات [١] .

---

(١) عبدالعظيم رمضان (الدكتور) : الصراع بين العرب وأوربا ، ص١٠٢ ، طبعة دار المعارف ١٩٨٣م .

بهذا كان معاوية أول من غزا بلاد الروم وأول من هادنهم ، تلك الهدنــة الــتى كانــت الدولــتان تــرجوها ، فالبيزنطيون قد حُصرت عاصــمتهم، وسقطت هيبتها، وصارت تئن من جراحها التى أثخنها بها الأمويون . ومن جهة معاوية، فإنه قد أدرك أن مسألة عهْده بالخلافة لابنه يزيد لا شك ستثير على ولده المشاكل، وتُولد ضده مقاومة فعالة، وبخاصــة وأن جــيلا ممــن بقى من الصحابة وأبنائهم سيثيرون هذه القلاقل فى وجه يزيد ، وطبعا سيكون على رأس هؤلاء أبناء على بن أبى طالب، وغيرهم ممن يتشيعون لهم ٠

لذلك آثر معاوية مهادنة الروم،ثم أمر قواده بسحب قواتهم المرابطة أمــام أسوار القسطنطينية برا وبحرا، والعودة بها ،حتى تكون بين يدى يزيد إذا ما قام فى وجهه من يتخوفهم معاوية عليه فى الداخل.

وتوفى معاوية ﷺ فى رجب من سنة ٦٠هـ[١] وتولى يزيد ابنه خلافــة المسلمين، فقام فى وجهه الحسين بن على ﷺ ثم من بعده ابن الزبير ، واتسعت جبهة المعارضة ليزيد ، فلم يتمكن من مواصلة سيرة أبــيه تجــاه الروم، بل يمكن القول إنه لولا تلك الأحداث الأخيرة التى كانــت فى أخريات أيام معاوية ، من حصار القسطنطينية وإنهاكها، ثم عقــد الصلح مع البيزنطيين ، لولا هذا لكان الحال بالنسبة ليزيد أسوأ مما هو عليه، ولانتهز الروم فرصة مشاكله الداخلية وباغتوه بالهجوم .

---

(١) الطبرى (أبوجعفر محمد بن جرير) ت٣١٠هـ: تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص٣٢٤ ، تحقــيق / محمــد أبوالفضل إبراهيم، طبعة رابعة، دار المعارف ١٩٧٩م ٠





بمعنى أدق أنه لولا أن معاوية قد خضد شوكة الروم قبل وفاته ، لأصبح يزيد فى مواجهة خطرين فى الداخل والخارج وكلاهما أشد عليه .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية فى ربيع الأول من سنة ٦٤هـ(١) انتقلت الخلافة لابنه معاوية ، الذى لم يكن له ارب فيها، كما لم يكن على قدر مواجهة أعدائه فى الداخل. فقد علا شأن ابن الزبير ونشط الخوارج ، وكاد عقد الأمويين ينفرط، لولا أن حاول مروان بن الحكم لم شملهم فى الجابية(٦٤هـ)،وتولى الخلافة،بعد زوال البيت السفيانى. فكانت السنة التى أمضاها خليفة بمثابة مرحلة انتقالية بين السفيانيين والمروانيين.تولى بعدها عبدالملك ابنه، وهو يُعد ثانى أقوى خلفاء بنى أمية بعد معاوية، فجهد فى تسكين الثورات الداخلية، وإعادة الاستقرار فى ربوع الدولة التى أمسك بزمامها وهى مشتعلة فى أغلب نواحيها .

ولم يكن هذا ليتم فى أجل قصير، وإنما ظل عبدالملك فى سبيل ذلك قرابة ثمانى سنوات (٦٥ ــ ٧٣هـ) تخلص فى أثنائها من ثورات الشيعة، ثم أعقب ذلك بانتصاره على ابن الزبير ، الذى كان قد استفحل أمره. وعظم خطره.

فهذا يعنى أن حملات الصوائف والشواتى قد توقفت بشكل مباشر طيلة هذه الفترة (من ٦٠ ــ ٧٣هـ) ، حيث لم يكن الأمويون

---

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٤٩٩ ، ويرى اليعقوبى أن وفاته كانت فى شهر صفر من السنة ذاتها ، تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٥٢ ، دار صادر ، بيروت ( د.ت) .



يستطيعون إخراجها والحال فى داخل الدولة على ما رأينا . وقد سكت الطبرى عن ذكر هذه الحملات، واهتم بالأحداث الجارية ، والقلاقل الداخلية التى واجهت بيت الخلافة . فى حين ذكر اليعقوبى صائفة خرجت فى عام(٦١هـ)إلى سورية بقيادة مالك بن عبدالله الخثعمى[١].

وأرى أن هذه الصائفة التى يذكرها اليعقوبى هى ذاتها التى ذكرها الطبرى وابن الأثير فى أحداث سنة (٦٠هـ)، وعلى هذا فهى الأصح والمعول عليها،لأنها تثبت الغزوة فى عهد معاوية،أى قبل ولاية يزيد واستشراء الخطر الداخلى عليه.كما أنه من الثابت أن البيزنطيين لم ينقضوا الصلح الذىوقّعه معاوية معهم إلا فىسنة(٦٥هـ) ، حيث رأوا انشغال البيت المروانى الحاكم بمشاكل الدولة فى الداخل، فأطمعهم ذلك،وقاموا بالهجوم على ملطية[٢]ومرعش[٣].وكان ذلك فى أول خلافة عبدالملك بن مروان . فعقد عبدالملك مع الروم صلحا على غرار صلح معاوية[٢].حتى تستقر الأوضاع فى الداخل .

---

(١) تاريخ اليعقوبى ، ٢ / ٢٥٣ .

(٢) ملطية : مدينة كبيرة ، من أكبر مدن الثغور ، وأكثرها سلاحا، وأجلدها رجالا، كانت مفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق متوجهة لآسيا الصغرى، ومفتاح الطريق للجيوش البيزنطية القادمة من الغرب، وهى ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة ووديان الأنهار ( علية عبدالسميع الجنزورى (الدكتورة) : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، ص ١٠٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩م . وينظر : عبدالمنعم ماجد (الدكتور): التاريخ السياسى للدولة العربية ص ١٤٠ طبعة ثامنة (بدون).

(٣) مرعش : مدينة من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم، وهى بتركيا اليوم. (ياقوت: شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى) ت٦٢٦هـ : معجم البلدان ، ٥/ ١٠٧ ، طبعة بيروت ١٩٧٧م .

(٤) البلاذرى (أبوالعباس أحمد بن يحيى بن جابر) ت٢٧٩هـ : فتوح البلدان تحقيق د/ عبدالله أنيس الطباع ود/ عمر أنيس الطباع، ص ١٨٩ ، =

(٢) فتوح البلدان ص ١٨٩ .

غير أن البيزنطيين لم يلتزموا ببنود الصلح ، وانتهزوا فرصة انشغال عبدالملك بصراعه مع الحركات الداخلية ، وأخذوا يهاجمون حدود المسلمين وولاياتهم مرة تلو الأخرى، يدفعهم إلى ذلك أمران : الأول: أنهم لم ينسوا بعد أن هذه الولايات والأقاليم كانت من ممتلكاتهم، قبل أن يغلبهم عليها المسلمون . والأمر الثاني . أنهم حاولوا تعزيز قدراتهم الدفاعية ، بمبادأة المسلمين بالهجوم ، فى مرحلة مثلت بالنسبة لهم فرصة لإثبات التفوق ، والرد على هجمات المسلمين، سواء فى الحملات الفصلية " الصوائف والشواتى" أو فى هجماتهم على القسطنطينية وحصارها .

وكان من أوائل محاولات الروم فى هذا السبيل ، ونقضهم لصلح عبدالملك أن غزوا عسقلان[1] وخربوها، وأجلوا عنها أهلها، ثم قصدوا إلى قيسارية[2] أيضا ، فعاثوا بها، وهدموا مسجدها[3] ولم يتمكن عبدالملك فى أثناء ذلك أن يصنع شيئا لهم . فلما استقرت الأمور له بالداخل قام ببناء عسقلان وقيسارية، وشحنها بالرجال، وبنى صور وعكا، وزاد اهتمامه بهذه البلدان التى طالما سعى الروم فى خرابها .

---

مؤسسة المعارف ، بيروت ١٩٨٧م ، محمد الطيب النجار (الدكتور): الدولة الأموية فى المشرق ، ص ١٢١ ، طبعة ثالثة القاهرة ١٩٧٧م، د/ عبدالعظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوربا ص ١٠٢ .

(١) عسقلان : مدينة بالشام ، من أعمال فلسطين ، على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، يقال لها:عروس الشام كما يقال لدمشق(معجم البلدان ٤/١٢٢) .

(٢) قيسارية : بلدة ساحلية بالشام ، تعد من أعمال فلسطين ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام (معجم البلدان ٤ /٤٢٣) .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٩٥ .

الجـراجمة[١] هم أهل مدينة الجرجومة التى تقع على جبل اللكام عنـد معدن الزاج فيما بين بوقا وبياس[٢] فى شمال سورية ، وهم قوم كانوا يخضعون لسلطان الروم قبل قيام دولة الإسلام ، ويتبعون بطريق أنطاكـية وواليها البيزنطى ، ويدينون بالنصرانية ، فى حياة أقرب إلى نظام الحكم الذاتى ·

وقـد اعتاد الجراجمة عصيان كل سلطة حاكمة فى الشام ، حيث تجلـت ظاهـرة عصـيانهم هـذه مـنذ أيام الدولة الرومانية الكبرى واسـتيلائها على الشام ، إذ وصف الرومان موطن المردة الجبلى بأنه مقر أعداء شديدى البأس ، كما نَعتوا سكان اللكام بالعداوة الدائمة[٣].

فلما نشطت حركة الفتوحات الإسلامية فى الشام ، وتقدم أبو عبيدة ابن الجراح فافتتح مدينة أنطاكية[٤]، اعتصم الجراجمة بجبل اللكام دون أن ينتـبه المسـلمون لخطورتهم، وأخذوا يَحْيون حياة شبه مستقلة فى

---

(١) ويسمون كذلك بالمردة لكثرة تمردهم على الحكام ·

(٢) الـبلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٧ ، وبوقا : بلد بين حلب والمصيصة فى تركيا . وبياس: مدينة صغيرة شرقى أنطاكية، قريبة من الإسكندرونة، وهى فى تركيا (معجم البلدان ١/ ٦٩٧ ، ٦٩٨ ) ·

(٣) إبراهـيم أحمد العدوى (الدكتور) : الأمويون والبيزنطيون ص ١١٧، طبعة ثانية ، دار الجيل للطباعة بالفجالة ، ١٩٦٣م ·

(٤) أنطاكـية : قصـبة العواصـم من الثغور الشامية ، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، وكانت مدينة حصينة مسورة ، لسورها خمسة أبواب (معجم البلدان ١/ ٢٦٧ ) ·



صياصـــى الجبال من حول مدينتهم " الجرجومة " التى كانت حاضرة لهم، وإليها ينتسبون ٠

غير أن أهل أنطاكية نقضوا عهدهم مع المسلمين وغدروا، فوجه إليهم أبو عبيدة مَنْ فتحها ثانية، وولَّى عليها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى. فغزا الجرجومة، فلم يقاتله أهلها، ولكنهم بادروا بطلب الأمان والصـــلح. فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين ، وعيونا ومسالح فى جبل اللكام، وأن لا يُؤخذوا بالجزية ، وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا فى مغازيهم[١]٠

وقـــد دخل مع الجراجمة فى هذا الصلح كل من كان فى مدينتهم مـــن تجـــار أو أجـــراء أو توابع من الأنباط وغيرهم من أهل القرى المجـــاورة. فسُمى هؤلاء بالروادیف، لأنهم تلوهم وليسوا منهم. ويقال أنهم جاءوا بهم إلى عسكر المسلمين وهم أرداف لهم فسموا روادیف[٢]

ثم لما اتجه معاوية إلى تحصين العواصم والثغور[٣] بشمال الشام المـــتاخمة لأراضـــى الدولة البيزنطية اصطدم بهؤلاء الجراجمة الذين

---

(١) فـــتوح الـــبلدان ص٢١٧ ، فيليب حتى ( الدكتور ) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢/ ٥٣ ترجمة د/ جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت ١٩٨٥م

(٢) فتوح البلدان ص ٢١٨ ٠

(٣) العواصـــم : الموانـــع ، وهـــى حصون يعتصم بها المسلمون من العدو إذا انصرفوا من الغزو، والعواصم كانت تعصم الثغور وتمدها فى أوقات النفير. أما الثغور ، فهى كل موقع قريب من أرض العدو، أو هى كل موضع يخاف منه هجوم العدو، فهى كالثلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها، والجمع ثغور (علية عبدالسميع الجنزور : الثغور البرية الإسلامية ، ص٧) ٠



أعلنوا خروجهم عن طاعة المسلمين، وعرقلوا تقدم مشاريع معاوية فترة من الزمن ٠

وعلى الرغم من أن حبيب بن مسلمة ــ أحد شيعة معاوية ــ عقد مع الجراجمة ذلك الصلح المشار إليه، والذى حافظوا به على استقلالهم وإعفائهم من الجزية، إلا أنهم لم يُخلصوا تماما لشروط هذا الصلح مع المسلمين ، وكثيرا ما انتهزوا الفرص للعصيان،فكانوا يستقيمون لولاة المسلمين مرة ويعوجون أخرى ، فيكاتبون الروم ويمالئونهم٠

وكان مما دعا الجراجمة إلى التقلب بين الطاعة والعصيان. إلفهم لنظام حرب العصابات ، ورغبتهم فى طلب المزيد من العطاء ممن يوالونهم، ومؤازرتهم لمن يزيد فى الإغداق عليهم. يعنى كانوا كالجند المرتزقة يزداد نشاطهم مع من يجزل لهم العطاء، ثم لا يتورعون عن الانقلاب إلى غيره وهكذا ٠

ومن ثم استطاع البيزنطيون ــ بحكم تاريخهم الطويل مع الجراجمة ــ أن يجتذبوم بإغداق المنح المالية عليهم، وتوجيههم لعرقلة نشاط المسلمين ، حتى غدا الجراحمة وكلاء للدولة البيزنطية ، ينفذون سياستها ضد مشاريع معاوية التى كان فى مقدمتها حملات الصوائف والشواتى المرتبة ضد البيزنطيين ٠



وزاد من خطورة أعمال الجراجمة أن إقليم الشام كان مقسما منذ زيارة عمر بن الخطاب (ﷺ) للشام إلى أربعة أجناد ، جند دمشق، وجند حمص ، وجند الأردن، وجند فلسطين . ولكل منها منافذ على البحر. ولذا كانت خطة البيزنطيين فى تشجيع الجراجمة تهدف إلى إيقاع الاضطراب فى صفوف هذه الأجناد الإسلامية ، والتى كانت من قَبْل الأقسام الإدارية الأربعة فى الشام أيام سيطرتهم عليه(١).

وتفانى المردة (الجراجمة) فى خدمة أغراض الدولة البيزنطية حتى أصبحوا يُكوّنون على حد قول المراجع البيزنطية التى أشادت بأعمالهم ضد المسلمين " ستارا حديديا" فَصَل الشام عن أراضى البيزنطيين بآسيا الصغرى، وعرقل الهجوم الإسلامى عليها . واستهدف المردة بإغاراتهم العديدة من جبل اللكام إيقاع الاضطراب بين المسلمين . وذلك بتشجيع الدولة البيزنطية التى أمدتهم بالمساعدات الحربية فى الإغارات الكبرى، وظهر تعاون المردة مع البيزنطيين فى عرقلة جهود المسلمين سنة٦٦٦م، حين ترامت إلى السلطات البيزنطية أنباء الحملة التى يعدها معاوية براً وبحرا للهجوم على القسطنطينية. وكانت طبيعة جبل اللكام تساعد المردة على تنفيذ مآربهم دون أن ينالهم ضرر أو أذى، إذ أغاروا من موطنهم بجبل اللكام على سلسلة جبال لبنان، وأفادوا من موقعها الجغرافى وخلوها من المحارس(٢) .

---

(١) د/ ابراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ١١٩ .

(٢) د/ ابراهيم أحمد العدوى: المرجع السابق والصحيفة .



وبالفعل نجح الجراجمة وخيالة الروم التى أُمدوا بها فى احتلال المناطق الاستراتيجية الهامة على امتداد جبال لبنان ، وفصلوا المنطقة الساحلية عن داخلية البلاد ، ثم قام الأسطول البيزنطى فى تلك الفترة بحملات على القواعد الإسلامية البحرية بالشام للسيطرة على ما بها من معدات ، دون أن تستطيع النجدات الإسلامية الوصول إلى الساحل من المناطق الداخلية فى الشام ٠

وعموما فقد كان الجراجمة يستغلون وقوع مساكنهم قرب درب أنطاكية ، المسمى "درب بغراس"[1] فى طريق إغارات المسلمين على أملاك البيزنطيين ، ويوقعون بجيوش المسلمين الفوضى عند عبورهم لهذا الممر، ولم تفلح محاولات المسلمين لإخضاعهم بشكل نهائى . ومرجع ذلك أن الجراجمة ربما ما يزالون يخلصون لسادتهم البيزنطيين من قبل أكثر من ولائهم لدولة المسلمين الناشئة، أو لعل الوساطات التى كانت تتردد بينهم وبين الروم أكثر سعيا وأجدى فى تعميق ولاء المردة للروم أكثر من المسلمين ، ثم كان من أهم العوامل فى ذلك خبرتهم بمسالك هذه البلاد ودروبها، وأماكن الاختباء عن المسلمين الذين جاءوا من أراضى مكشوفة لم يتمرسوا فيها على مثل هذه الوعورة ، فتفوق المردة من هذا الجانب ٠

---

(١) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكام ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب (معجم البلدان ١ / ٦٩٥ ) ٠

وأيضـــا ، فـــإن انشغال معاوية فى سنى خلافته الأولى بحرب العلويين والخوارج، والاهتمام بمشاكله الداخلية ، قد شجع المردة على الـتفانى فى خدمة سادتهم من البيزنطيين . بل تعدى الأمر ذلك فأصبح المردة بعصيانهم وطبيعة بلادهم نواة التف حولها كثير من الخارجين علـى سـلطان الأمويين فى الشام، وكل هذا مما قوى بأسهم وزاد من خطورة أعمالهم ضد المسلمين ·

وفـى ذلك يرى الدكتور (فيليب حتى) أن معاوية اضطر إلى أن يؤدى إلى إمبراطور الروم فريضة سنوية كبيرة فى مقابل امتناعه عن إمـداد الجراجمة ، على أن يؤدى معاوية بدوره فريضة سنوية أخرى للجـراجمة[1] يعنى اضطر معاوية إلى استرضاء الطرفين بالمال حتى يأمـن شـرهم وعبـثهم فى أراضى المسلمين طالما هو مشغول عنهم بأحداث الدولة فى الداخل ·

وهـذا ممـا يدل على دهاء معاوية وحنكته السياسية فى خططه الدفاعية. حيث إن كثيرا من الفارين والناقمين على سياسته قد انضموا إلـى الجـراجمة ، كما انضم إليهم أيضا موارنة لبنان ، فكان هذا مما سهّل للجراجمة أن يكونوا عدوا داخليا للأمويين يجب التنبه له قبل أن يسـتفحل خطـره. لذا لم يكن من المستغرب أن يغرى معاوية كلا من البيزنطيـين والجـراجمة بمـبالغ سنوية من المال، فيكسب بذلك قَطْع

---

(١) تـاريخ سورية ولبنان وفلسطين٢/ ٥٣ ، عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ص ١٤١ ·

العـون البـيزنطى للجراجمة من ناحية ، وتسكين هؤلاء الذين هم فى داخل حدود دولته من ناحية أخرى، حتى يتقوى لمجابهتهم جميعا٠

ثم عمد معاوية إلى خطة أشد حسما للتخلص من كيد الجراجمة، فاستقدم جماعات من ( زط البصرة )(١) ووضعهم بالقرب من مساكن الجراجمة فى الجهات الشامية المعرضة لخطرهم، وبهذا يتمكن معاوية من مراقبة حركات الجراجمة فى الداخل من ناحية، ثم التصدى لهم فى بداية نشاطهم الحربى ضده من ناحية أخرى ٠

وكان نقْل معاوية لجماعات الزط هؤلاء حوالى سنة(٤٩أو ٥٠هـ) فأسـكنهم أنطاكـية وغيرها من الثغور الإسلامية القريبة منها، ولكن غالبيـتهم اسـتقرت بأنطاكية نفسها، حتى صار لهم حى يعرف "بمحلة الزط"،وببوقا من عمل أنطاكية أيضا قوم من أولادهم يعرفون بالزط(٢)

فكـان هذا آخر جهود معاوية ضد الجراجمة ، لتحصين الثغور والعواصـم الإسلامية فلم يدم نجاح المردة طويلا، واقتصرت أعمالهم

---

(١) الزط : طائفة متخلفة من الهنود، منازلهم فى شمال غربى الهند وبلوجستان والسـند والبـنجاب وأرجوتان، وقد اختلف المؤرخون فى أصل كلمة "زط"، ولكن معظمهم أجمع على أن الكلمة تعريب لكلمة "جت" الهندية . (قدامة ابن جعفـر : الخـراج وصناعة الكتابة ص٤١٨ ، حاشية رقم ٧٣١) . ويحتمل أنهـم (أى الزط) من هنود أسيا، واستقروا على سواحل الخليج الفارسى فيما بعد، وعرفوا بالشراسة وحبهم للمغامرات، مما جعل معاوية يختارهم للدفاع عن الحدود الإسلامية ضد الجراجمة والبيزنطيين (د/ إبراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٢٠ ) ٠

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢١ ٠

علـــى الإغارات السريعة ، ثم العودة إلى مناطقهم ثانية ، مما اضطر الجـــيش الـــنظامى البـــيزنطى إلى التقهقر مع أولئك المرتزقة . فنجح معاوية بذلك فى شل حركات المردة التى لم تعد تفت فى عضد جنده.

غير أن الجراجمة لم يتواروا إلى الأبد ، وإنما عادوا للظهور من جديـــد فى عهد عبدالملك بن مروان ، حينما رأوا توجه الروم فى عهد جستنيان الثانى، إلى أراضى المسلمين بالشام ونزولهم بالمصيصة(١).

فى تلك الأثناء (سنة ٧٠هـــ على رواية البلاذرى) (٢) كانت ثورة عمـــرو بـــن ســـعيد بن العاص على عبدالملك بدمشق(٣)، فأغرى ذلك الـــروم، فقـــاموا بمهاجمـــة بـــلاد الشـــام، بالتعاون بين خيالة الروم والجراجمة ومن انضم إليهم من أنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين.

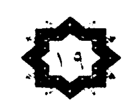
إزاء ذلك لم يملك عبدالملك إلا أن يصالح طاغية الروم على مال يؤديـــه إلـــيه ليشغله به عن محاربته ، ويحول دون وصوله إلى بلاد الشـــام والتغلـــب علـــيها، فى وقت لم تكن الظروف مواتية لعبدالملك

---

(١) المصيصـــة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس ( معجم البلدان ٥ / ١٤٥ ) ويقال أن أول من ابتنى حصن المصيصة فى الإسلام هو عبدالله بن عبدالملك بن مروان فى عهد أبيه ســـنة ٨٤ هـــ ، وقد بناها على أساسها القديم ( فتوح البلدان . القســـم الاول ص١٩٦ ) .

(٢) فتوح البلدان، ص ١٩٠ ، ويراها الطبرى فى سنة ٦٩هـــ (جـــ٦ ص١٤٠).

(٣) انظر فى خروج عمرو بن سعيد على عبدالملك : الطبرى ٣ / ٣٩٧ ، فتوح البلدان ص ١٩٠ ، تاريخ الكامل ٣ / ٣٩٧ .



لحـــرب الـــروم، ودخل الجراجمة فى هذا الصلح على مال يؤدد إليهم عبدالملك كل جمعة(١).

ثـــم بعث عبدالملك سرية من جنده بقيادة سحيم أبو المهاجر. تجاه مواطـــن الجـــراجمة. فـــأخذ سحيم يتلطف لقائد الروم فى جبل اللكام، ويـــتقرب إلـــيه بـــذم عبدالملك وشتمه، متعهدا بأن يدله على عورات عبدالملك، وأن يقدم له ما هو أفضل من الصلح معه .

وكـــان ســـحيم قد خبأ بعض جنده من موالى عبدالملك فى كمين خفـــى. فاســـتدرج قائد خيل الروم، ونادى فى العبيد: من أتانا فهو حر ويُثبـــت فـــى الديـــوان، فـــانفض إليه خلق كثيرمنهم . ثم انقض جند عـــبدالملك علـــى خيل الروم والجراجمة من مكمنهم، فقتلوا منهم خلقا كثـــيرا، وقُتل قائد الروم، ونفر من الجراجمة والأنباط ثم نادى المنادى بالأمـــان فيمـــن بقـــى منهم ، فرجع أكثر الجراجمة إلى مدينتهم بجبل اللكام، وأتى الأنباط قراهم، ورجع العبيد إلى مواليهم(٢).

ونعـــود إلى ذلك الصلح الذى أبرم بين عبدالملك وجستنيان سنة ٧٠هـــ لنتبين أنه تم فى وقت لم يكن فيه عبدالملك قد انتهى من مشاكله الداخلية بعد. ومن ثم كانت كلمة الروم هى العليا فى ذلك الصلح. حيث تعهـــد عـــبدالملك بدفـــع جزية مالية للإمبراطور، يضاف إليها نصف

---

(١) فـــتوح الـــبلدان ١ / ١٨٩ ، تـــاريخ الكامل ٣ / ٤٠٠ ، عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ١٤٢ .
(٢) تاريخ الكامل ٣ / ٤٠٠ "بتصرف" .

إيرادات أرمينيا وقبرص[١] سنويا ، وتحددت المعاهدة بعشر سنوات . ورغم ذلك كله فقد كسب عبد الملك نصًا مُهماً فى المعاهدة حين وافق جستنيان على نقل الجراجمة من مواقعهم على حدود الدولة الإسلامية إلى داخل بلاده، مما أدى إلى انكشاف الحدود الشرقية للإمبراطورية. وهى الحدود التى تُعد البوابة الرئيسية لحملات الصوائف والشواتى البرية .

---

(١) وديع فتحى عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص ٧٣ مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ، ١٩٩٠ .

## الصوائف والشواتى فى عهد عبدالملك بن مروان

رغم أن الهدنة التى وقعها عبدالملك مع جستنيان قد نصّت على وقْف القتال بين الطرفين لمدة عشر سنين، إلا أنها واكبت قُرب خلاص عبدالملك من مشاكله الداخلية ، واستقرار الأمور بين يديه أكثر من ذى قبل، لذلك لم يستمر أثر تلك الهدنة سوى عام واحد ؛ حيث قام عبدالملك باسترداد قيسارية، وضرب الدنانير الذهبية لأول مرة ، وإرسالها كجزية بدلا من العملة البيزنطية ، مما أعطى مؤشرا على قدرة الدولة الأموية واستقلالها اقتصاديا[١] ، وهذا بدوره قد أدى إلى عودة نشاطها العسكرى ضد البيزنطيين ، ومثّل فى عمومه تحديا كبيرا للإمبراطور جستنيان الذى اتصف عهده بالضعف عند البعض .

عموما فقد شهدت السنوات الأولى من العقد الثامن بداية مرحلة جديدة من الصراع العسكرى بين الأمويين والبيزنطيين ، سواء كان هذا الصراع متمثلا فى حملات عسكرية كبرى، أو فى حملات الصوائف والشواتى، حتى شاع ذِكْر عبدالملك بذلك، ومدحه الأخطل الشاعر لكثرة غزواته فى بلاد الروم[٢] . وعلى غرار ما كان يفعله معاوية، فقد دأب عبدالملك على إرسال أبنائه وأفراد أسرته مع الحملات الخارجة إلى بلاد الروم .

---

(١) وديع فتحى عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى، ص ٧٤ .

(٢) يقول الأخطل :

**وفى كل عام منك للروم غزوة ... بعيدة أثار السنابك والسرب**

ينظر : عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ص١٤٣ .



كما عمد عبدالملك إلى تفعيل أثر الصوائف والشواتي. أولاً بترتيبها سنوياً وبانتظام، إلا لضرورة ، وثانياً بالاستيلاء على حصون جديدة أبعد عمقاً في اتجاه بلاد الروم، والاهتمام بتحصينها وتسويرها ووضع المسالح ونقاط المراقبة من حولها، لحفظ أعقاب الصوائف والشواتي خوفاً من مباغتة الجراجمة أو أكمنة الروم لمؤخرة الجند، فسُمي هذا الجند المقيم في هذه النقاط والمسالح بـ"الرواديف"[1] أو الأرداف ، يعني أرداف الصوائف.

ولم يكن هذا النشاط الحربي لعبدالملك بقصد التمهيد لفتح القسطنطينية، فالوقت ما يزال مبكراً للقيام بعمل كهذا، وإنما كان بقصد إضعاف الروم، وتخفيف قبضتهم في أرمينية[2] التي تعتبر ميدان الاحتكاك العسكري بين الطرفين، وبوابة كل منهما على حدود الآخر.

وقد واكب ذلك عودة محمد بن مروان من حملته على بلاد العراق . فاستأذن عبدالملك في غزو الروم، فأذن له ، وولاه على الجزيرة وأرمينية . وبذلك جعل عبدالملك للجزيرة قيادة مستقلة، بعد أن كانت جنداً واحداً مع قنسرين[3] .

---

(١) البلاذري:فتوح البلدان، ص٢٢١، عبدالمنعم ماجد : نفس المرجع ص١٤٤

(٢) أرمينية : اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، كان معظمها في أيدي الروم . ( ياقوت : معجم البلدان ١ / ١٦٠ ).وتقع أرمينية بين بحر الخزر شرقاً ووادي الفرات غرباً .وقد أصبح اليوم قسم كبير منها في تركيا الشرقية. وقسم في إيران شمال أذربيجان، وقسم في الاتحاد السوفيتي، وتمتاز أرمينية بأنها إقليم فريد في جغرافيته، حيث تعتبر وحدة طبيعية قائمة بذاتها وسط ما يحيط بها من بلاد . إبراهيم أحمد العدوي (الدكتور): الأمويون والبيزنطيون ص١٢١ .

(٣)ابن الأثير :الكامل في التاريخ ٤/٢٨،ماجد:التاريخ السياسي للدولة العربيةص ١٤٣

١٨١



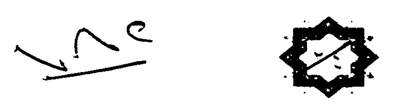
ومــن ثم فقد كانت أول صائفة فى عهد عبدالملك ، هى التى قام بهــا أخوه محمد بن مروان سنة (٧٣هــ) ، حيث أثخن فى الروم من ناحــية أرمينية [١]، ودخلها بمساعدة عناصر فيها كانت موالية للعرب، فقــدّم زعماء الأرمن خضوعهم ، ومنذئذ سمعنا عن سلسلة من الحكام الخاضــعين للعرب[٢]، فكان هذا كله ناشئا من إحكام محمد بن مروان قبضته فى ولايته الجديدة ، الجزيرة وأرمينية ٠

غــير أن أثار هذه الصائفة قد أثارت الروم، ودفعتهم إلى إعداد حملــة كبرى تخرج من أرمينية صوب بلاد المسلمين، فلقيهم بأرمينية عــثمان بن الوليد أحد قواد عبدالملك، فى أربعة آلاف جندى ، والروم فى ستين ألفا، فقاتلهم وهزمهم أشد هزيمة، وأكثر فيهم القتل[٣] فعززت هــذه الوقعــة صائفة محمد بن مروان السابقة، وكانت كلتاهما فى سنة ٧٣هــ، وتأكد بذلك الوجود الإسلامى فى أرمينية ، لأول مرة منذ وفاة معاويــة بن أبى سفيان لتبدأ سلسلة جديدة من الحملات الفصلية، ساعد الأمويــين فــيها مــن جانــب آخر ضعف سلطان الروم الذين شغلهم الصراع الداخلى على العرش٠

غير أن الروم لم يستكينوا إلى الأبد، وإنما حاولوا من جديد الرد علىتهديدات محمد بن مروان،فخرجوا من قبل مرعش[٤]سنة(٧٥هــ)،

---

(١) تاريخ الطبرى٦/١٩٤،تاريخ الكامل٢٨/٤،البلاذرى:فتوح البلدان ص٢٨٩
(٢) ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ١٤٣ ٠
(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٩٤ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢٨ ٠
(٤) انظر التعريف بها فى ص ٩ من الدراسة ٠



فلقيهم محمد بصائفته فهزمهم وردهم . لكن الروم خرجوا ثانية في عام (٧٦هــ) . من العتيق بنواحي مرعش فتصدى لهم محمد بن مروان وهــزمهم . وإن كــان اليعقوبي يرى أن الذى تصدى لهم هو إبان ابن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ودينار بن دينار[1].

وهكــذا بــدأ دور جديــد مــن أدوار الصــراع بيــن الأمويين والبيزنطيين ، واستمر هذا الدور في الغالب لصالح الدولة العربية التي تخلصــت حكومــتها من كافة مشاكلها الداخلية، وتفرغت لهذا الجانب البيزنطي. لتُثبت نجاحها وتفوقها في الإدارة الداخلية، وإدارة الصراع الخــارجي بينها وبين حكومات الروم التي بدأ الوهن يدب فيها، أحيانا بســبب ضعف القياصرة، وأحيانا أخرى بسبب سياساتها الداخلية تجاه رعاياها متعددي الجنسيات، من أرمن وسلاف ومجريين وغيرهم .

وبــدأت تظهــر في هذا الدور شخصيات قيادية جديدة في ميدان الحملات الفصلية، مثّلت جيلا آخر جديدا . بعد الجيل الأول الذى ظهر في عهد معاوية بن أبي سفيان، فكان ممن اشتهر في هذا الجيل الثاني: محمــد بــن مروان بن الحكم ، وعثمان بن الوليد، وإبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ودينار بن دينار ، ويحيى بن الحكم ، والعباس بن الولــيد ، وعــبدالله بن عبدالملك بن مروان ، ثم كان من أبرز قواد هذا الجــيل: مسلمة بن عبدالملك بن مروان، الذى حاز درجة عالية وشأنا

---

~~(١) اليعقوبي ( أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٩٢هــ ٢/ ٢٨١ ، دار صادر ، بيروت (بدون) .~~

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨١ .

رفيعا فى سلسلة الحملات الفصلية التى قادها ضد الروم ، وسمّاه أبوه بسبب حزقه الإدارى وفنه القيادى بـ" ناب بنى أمية "[١].

ومن ثَمّ فإن سلسلة الحملات التى بدأت فى عهد عبدالملك من سنة (٧٣هـ) ، لم تتوقف فى الغالب طيلة أيام حكمه ، فبعد غزو محمد بن مروان فى سنة (٧٣هـ) ، (٧٥هـ)، قام محمد بن مروان[٢] بصائفة خرجت سنة (٧٦هـ) من مرج الشحم بين ملطية والمصيصة، ثم غزا فى العام التالى (٧٧هـ)، الوليد بن عبدالملك، فدخل أطمار من ناحية ملطية، التى مثلت البوابة الرئيسية لحملات المسلمين على الروم فى تلك الفترة .

وفى سنة (٧٩هـ) أصاب أهل الشام طاعون شديد ، كاد الناس يفنون من شدته[٣]، فلم يغز فى هذه السنة أحد من المسلمين ، فأطمع هذا الروم ، فنزلوا بجند كثيف على أنطاكية وظفروا بأهلها[٤]. فلما رفع الله البأس عن أهل الشام أعد عبدالملك حملة بقيادة ابنه الوليد سنة (٨٠هـ) ، فخرجت إلى بلاد الروم، لتأكيد سيادة العرب من

---

(١) عبدالعظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوربا ، ص ١٠٣ .
(٢) تاريخ الكامل ٤ / ٥٥ ، وإن كان اليعقوبى يرى أن الذى خرج على رأس هذه الصائفة هو يحيى بن الحكم ( تاريخ اليعقوبى : ٢/ ٢٨١) ونميل إلى رأى ابن الأثير لأنه أوثق فى الغالب فى تتبع الأحداث، ولأن محمد بن مروان كان مشهورا فى هذا الميدان منذ تولى الجزيرة وأرمينية. وأما صائفة يحيى بن عبدالملك فيوردها الطبرى فى أحداث سنة ٧٧هـ من بعد ( تاريخ الطبرى ٦ / ٣٢١ ) .
(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ٣٢٢، تاريخ الكامل ٤/ ٧٣ .
(٤) المصدران السابقان .

جديد . ثم تلتها حملة عبيدالله بن عبدالملك سنة (٨١هـ)، وفيها افتتح قاليقلا[1].

وفي السنة التالية (٨٢هـ) غزا محمد بن مروان أرمينية، فهزمهم، ثم سألوه الصلح فصالحهم، وولّى عليهم أبا شيخ بن عبدالله، فغدروا به وقتلوه[2] .

وهكذا استطاع عبدالملك بمتابعة حملاته على الروم أن يعيد إلى الوجود الإسلامي في أرمينية نشاطه وفاعليته، على غرار ما كان عليه في أيام معاوية من قبل، لكنه من ناحية أخرى لم يصل إلى مستوى تهديد القسطنطينية، أو التخطيط لغزوها . كما اتضح ذلك من قبل في عهد معاوية[3] . بمعنى أن كل ما استطاعه عبدالملك هو إضعاف الروم ، وتخفيف قبضتهم في أرمينية ، وبخاصة وأن الدولة في عهده لم تكن تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ، بسبب ما عانته من جراء الفتن الداخلية التي تزامنت مع تولي عبدالملك عرش الخلافة .

لكن هذا لا يقلل من قيمة الجهود التي بذلها عبدالملك في إقرار سلطان المسلمين في أرمينية ، وصد زحوف الروم المتكررة، بل لقد كانت هذه الجهود هي الأساس الذي ستبنى عليه محاولات الخلفاء من

---

(١) الطبري ، ٦ / ٣٣١، تاريخ الكامل ٤ ، ٧٥ ، وقاليقلا : منطقة بأرمينية العظمى من نواحي " خلاط " وتنسب إلى "قالي" ( معجم البلدان ٤/ ٢٩٩).

(٢) تاريخ الكامل ٤/ ٨٤ .

(٣) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ص١٤٤ .



بعد عبدالملك للوصول إلى القسطنيطينة من جديد ، بل ربما صَحَّ القول إن عبدالملك لو آلت إليه الخلافة فى ظروف داخلية أهدأ ، وأحوال مستقرة، ربما كانت فرصة وصوله للقسطنيطينة أيسر وأمكن.

وعموما ، فإن عبدالملك لم يدخر جهدا فى كبح جماح الروم، بل وتهديدهم فى عقر دارهم، فها هو فى سنة (٨٤هـ) يُخرج ابنه عبدالله على رأس حملة إلى بلاد الروم، استولى فيها على "المصيصة"[٢]، وبنى حصنها القديم على أساسه ، ووضع بها سكانا من الجند ، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون قد سكنوها من قبل ، وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن[١].

هنا إذن إشارة إلى أن عبدالملك قد بدأ يعزز وجود المسلمين فى أرمينية بتحصين الثغور الجديدة وشحنها بالرجال والسلاح، على غرار ما صنعه معاوية بن أبى سفيان من قبل، وهذا بدوره سيساعد كل جهد يُبذل من بعدُ فى هذا الميدان . فقد كان من سعة أفق عبدالملك وابنه عبدالله الذى افتتح المصيصة، أن تكون هذه المدينة بعد تحصينها وشحنها بمثابة خط دفاع أمامى متقدم فى أرض الروم، يدفع عن أنطاكية التى كانت إلى ذلك الحين قصبة العواصم فى الثغور الشامية.

---

(٢) المصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس (معجم البلدان ٥ / ١٤٥) ، والمدينة عبارة عن شقين يفصلهما النهر "المصيصة" و"كفر بيا " ( الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧) .

(١) الطبرى ٦/ ٣٨٥ ، تاريخ الكامل ٤/ ٩٤، فتوح البلدان ص١٩٥، واليعقوبى وحده هو الذى أورد فتحها فى سنة (٨٣هـ) جـ٢ ص٢٨١ .



ويروى قدامة بن جعفر فى كتابه : الخراج وصناعة الكتابة، أن عمر بن عبدالعزيز  شخص حتى نزل بالمصيصة، فلما رأى كنيستها وهريها أراد هدمها، لأنه خاف أن يحاصرها الروم ومن بها، فأعلمه الناس أنها إنما عمرت لتدفع عن أنطاكية، فإن أخربها لم يكن للعدو ناهية دون أنطاكية(١).

وكانت أخر الحملات التى خرجت فى عهد عبدالملك ، تلك الحملة التى قام بها محمد بن مروان سنة (٨٥هـ) ، فصاف بأرمينية وشتى. وبهذا يتضح أن حملات الصوائف والشواتى فى عهد عبدالملك بن مروان لم تنقطع منذ ابتدأت فى سنة ( ٧٣هـ ) حتى وفاته فى سنة (٨٦هـ) . ومن خلالها استطاع الأمويون تثبيت وجودهم فى أرمينية، تلك الدولة التى كانت وسطا بين المسلمين والروم، والتى تقلبت فى ولائها بين المسلمين والروم كثيرا، مرة مع هؤلاء ومرة مع أولئك بحسب استفادتها من أيهما .

والآن، وقد انتهى عهد عبدالملك بن مروان بوفاته سنة (٨٦هـ) فلعله من الملائم هنا أن نذكر بعضا من أوجه الشبه بين عهده وعهد معاوية بن أبى سفيان؛ فكلاهما قد اعتلى عرش الخلافة لمدة ناهزت العشرين عاما، وكلاهما يُعد المؤسس الحقيقى لعُمُد الدولة فى حينه، فمعاوية أول الخلفاء من البيت السفيانى، وعبدالملك يُعد الخليفة القوى

---

(١) الخراج وصناعة الكتابة ص٣٠٨ . شرح وتحقيق د / محمد حسين الزبيدى. دار الرشيد ، بغداد ١٩٧٩م .





الأول بين أبناء البيت المروانى، وكلا العهدين أيضا تأسست فيه عملية بث الصوائف والشواتى ، حيث أرسى قواعدها ورتب لها معاوية لأول مرة، ثم توقفت من بعده بسبب تزعزع الأوضاع فى داخل الدولة. فقام عـبدالملك فى أيامه ببثهاوتنشيطها من جديد ، حتى استقر له الأمر فى أرمينـية ، وأمكـن لمن جاء بعده من الخلفاء أن يحاولوا طرق أبواب القسطنطينية .

ثـم كـان من آخر أوجه الشبه بين العهدين، فوق ما سبق ، أنَّ معاويـة قد طاول البيزنطيين فى ميدان البحرية، وانتزع منهم سيادتهم علـى البحر المتوسط، ثم جاء عبدالملك فعرَّب الدواوين، وسكَّ العملة الإسلامية، مُستغنياً بذلك عن الدنانير البيزنطية .



١٨٢

## خلافة الوليد بن عبدالملك

## حقبة جديدة متميزة في الصراع الأموي البيزنطي

استُخلف الوليد بن عبدالملك بعد وفاة أبيه (٨٦هـ) وقد ورث إمبراطورية شاسعة، قد تمهدت في أيام أبيه، واستقرت أرجاؤها، وكان الوليد نفسه قد خرج على رأس الحملات الفصلية صوب بلاد الروم مرارا . فخبرها قائدا قبل أن تصير الخلافة إليه، وهذا سيكون له أثره في اهتمام الوليد بهذا الجانب، وبذل جهده في سبيله. كما برزت في هذا الدور أيضا شخصية بطل جديد ، وقائد فذ محنك في عمليات الصوائف والشواتي . هو مسلمة بن عبدالملك، الذى أثبت شهرة وجرأة في هذا الميدان، بحيث اقترن اسمه بأكثر الغزوات ضد الروم، وصار إذا ذُكر ذُكرت معه أعمال الأمويين العسكرية ضد الروم.

ومما سبق نتبين أن هذا العهد الجديد الذى بدأ مستقرا سياسيا، آمناً عسكريا . والذى ظهرت فيه شخصيات قيادية هامة، مثل شخصية الوليد الخليفة، ومسلمة بن عبدالملك، ثم العباس بن الوليد بن عبدالملك، هذا العهد بهذه الصورة كان يؤكد أن محاولات جديدة وقوية لابد ستبذل في سبيل النيل من الروم بمزيد من التهديد لهم في بلادهم ، بل والوصول إلى أبواب عاصمتهم في محاولة جديدة، وهو ما تم بالفعل، وإن لم يتم في عهد الوليد فإنه أعقبه مباشرة في عهد أخيه سليمان بن عبدالملك .

لكـــن قبل أن نصل إلى هذه الغاية ينبغى أن نتابع سيرة الحملات الفصـــلية فى عهد الوليد ، تلك الحملات التى ستكون الأساس للاندفاع نحـــو القسـطنطينية من بعد . فقد كانت أول غزوة غزاها مسلمة بن عـبدالملك سـنة (٨٦هـ)، أى قبيل وفاة أبيه بزمن يسير[١]. فقد أورد المؤرخـون أن مسلمة غزا فى هذه السنة أرض الروم، وفتح الله على يديـه حصـــن "بوق" ، وحصن "الأخرم" قبل وفاة عبدالملك ، واستمر يغـزو فـــى هذه السنة أرض الروم، ففتح بعض بلادها، وبلغ عسكره تلـــول نابلس[٢] . وفى رواية أخرى أنه غزا فى هذه السنة بلاد الروم ففـــتح حصـــن " تولـــو " ، وحصن " الأخرم" ، وبحيرة الفرسان وبلغ عســكره فلورنس ، فقتل وسبا فيها ، كما قتل عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة .

مـــن خـــلال غزوة مسلمة الأولى هذه ، يظهر لنا أن ثمة خطة جديـــدة اتخذها الوليد ، وقام على تنفيذها مسلمة، تمثلت هذه الخطة فى طُـول المقـــام بأرض الروم، والتحول من مكان إلى مكان فى الغزوة الواحـــدة . ومحاولـــة تســـكين الأهـــالى فى أرمينية والثغور . بمعنى إلـــزامهم الطاعـــة وعدم النكث ، ثم تمثلت هذه الخطة فى نهايتها فى

---

(١) لـــيس من الواضح عند قدامى المؤرخين ما إذا كانت أول غزوة لمسلمة قبل وفاة أبيه أم بعد وفاته ، لكن عند بعض المحدثين أنها كانت فى أخريات أيام أبيه .

(٢) علـــى صـــافى حسين: مسلمة بن عبدالملك حياته العسكرية والأدبية، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤م ص ٥٣ .



محاولـــة الأمويين ضم مدن وثغور جديدة وتحصينها وشحنها بالمقاتلة والسلاح .

أكـــد على هذا أن كان العرب في هذه الحملات يحملون نساءهم معهـــد بقصد الجد في القتال، وتحقيق الاستقرار والمقام بأرض العدو. وتطبـــيقا لهـــذه السياسة قام مسلمة ومعه العباس بن الوليد بمحاصرة مدينة " طوانة "(*) بالجند والمنجنيقات ، وطالت مدة الحصار الإسلامي للمديـــنة ومـــن بهـــا[1] ، مما اضطر الامبراطور إلى إرسال إمدادات لمساعدة أهلها لكن دون جدوى . واستسلمت المدينة لمسلمة بعد حصار دام مـــدة ســـنتين[2] وبعدما بلغت خسائر الروم من البشر فيها حوالي خمسين ألفا، عدا الأسرى، والغنائم الهائلة.

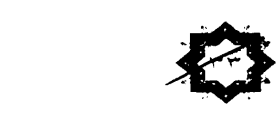
لكـــن يجـــدر بـــنا ـــ الآن ـــ أن نقف مليا عند فتح هذه المدينة "طوانـــة" ، حيـــث يظهـــر من رواية الطبري وابن الاثير لأحداثها أن المســـلمين كـــانوا في وضع حرج قبل أن تُفتح لهم. فمن الواضح أن جيوش الأمويين بقيادة مسلمة والعباس بن الوليد منذ خرجت فـــي سنة (٨٦هـــــ) إلى الآن (٨٨هـــ) وهي تتقلب في حروب مستمرة في بلاد

---

(*) الطوانـــة : مدينة حصينة في ثغور المصيصة ( وديع فتى عبدالله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ، ص٧٨ ، حاشية رقم ٣) .

(١) عبدالمـــنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ١٥٩ ، وقوله إن الحصـــار دام حوالي تسعة أشهر يتعارض مع أكثر الروايات التي تقرر أن الحصـــار دام سنتين ، لكن يمكن فهمه على أنه بعد تسعة أشهر من الحصار أرسل الإمبراطور الإمدادات للمدينة ، فلم تغن شيئا .

(٢) ينظر : الطبري ٦ / ٤٢٩ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٠٨ .



العدو ، ولم يبق الأمر مجرد حملات فصلية سريعة ، إنما تطور الحال إلى حملات متعددة متعاقبة في عام واحد .

يدل على هذا تعدد ذكر الحملات ، وكثرة المدن والحصون التي انضافت للمسلمين في غضون العامين . ثم يأتي في النهاية على ما يرويه الطبري وابن الأثير في أحداث سنة (٨٨هـ)، أن الوليدبن عبدالملك كان قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره بأن يكتب إلى ملك الروم يُعرفه أن الخزر وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا على قَصْد بلاده، ففعل ذلك، وقطع الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية ، وأكثر وأعظم جهازه ، وساروا نحو الجزيرة ، ثم عطفوا منها إلى بلد الروم ، فاقتتلوا هم والروم، فانهزم الروم وولوا. ثم تجمعوا ورجعوا يقاتلون فانكسر المسلمون ، وبقي العباس بن الوليد في نفر من المسلمين ، منهم ابن محيريز الجمحي ، فقال له العباس: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيريز : نَادِهم يأتوك . فنادى العباس: يا أهل القرآن ، فأقبلوا جميعا ، فاقتتلوا مع الروم ، فنصرهم الله ، وهُزم الروم ، حتى دخلوا "طوانة" ، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الأولى[1].

وفي سنة (٨٩هـ) غزا مسلمة والعباس بن الوليد بلاد الروم ، فافتتح مسلمة حصن "عمورية"[2]، وفتح العباس "أذروليه" ، ولقي من

(١) الطبري٦/٤٣٤،تاريخ الكامل٤/١٠٨،والنص لابن الأثير"بتصرف يسير".
(٢) عمورية : هي بلدة " أموريوم " القديمة ، المسماة الآن "سوري مصار" (حقائق الأخبار عن دول البحار ، ١/ ١٤٣، حاشية رقم ٢) .

الــروم جمعا فهزمهم . وقيل : إن مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا مــن الــروم كثــيرا فهزمهم، وافتتح "هرقلة" و"قمونية"، وغزا العباس الصــائفة مــن ناحية "البذندون" . وفى هذه السنة (٨٩هــ) أيضا غزا مســلمة بــن عبدالملك بلاد الترك من ناحية أذربيجان ، ففتح حصونا ومدائن هناك .

ويــروى الــبلاذرى(١) فــى أحداث سنة (٨٩هــ) أن الجراجمة عاودوا الاجتماع فى مدينتهم "الجرجومة"، وأتت إليهم جموع من الروم من قِبَل الإسكندرونة وروسس . وهنا يمكن القول : إن الروم قد هالهم ما لحقهم على أيدى المسلمين فى عهدى عبدالملك والوليد ، وأثَّر فيهم تعاقــب الحملات على بلادهم، فكانت حيلة منهم أن يشجعوا الجراجمة علــى العــودة إلى مدينتهم والتحصن بها، وإمدادهم بأعداد كبيرة من الــروم، لعلهم يستطيعون صدَّ هجمات المسلمين ، أو إضعافها ــ على الأقل ــ قبل أن تصل إلى بلاد الروم .

وكــان هذا مما دعا الوليد بن عبدالملك إلى أن يوجه إليهم قائده الأول مســلمة بــن عبدالملك ، الذى أناخ عليهم فى خلق كثير، فافتتح الجرجومة، واشترط على أهلها أن ينزلوا حيث أحبوا من بلاد الشام ، ويجــرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير، وعلى عيالاتهم القوت من القمــح والزيــت ، وهــو مديان من قمح وقسط من زيت ، وعلى ألا يُكــرهوا ولا أحد من أولادهم ونسائهم على تَرْك النصرانية، وعلى أن

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٩٠ .



يلبسوا لبس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية،وعلى أن يغزوا مع المسلمين، فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة، وعلى أن يُوخذ من تجاراتهم وأموال مُوسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين " أى ما يعدل الزكاة "(١) .

ومن ثم نلحظ أن مسلمة قد اتخذ مع الجراجمة سياسة جديدة اقتضتها الظروف فاستمالهم وصالحهم وأنزلهم ببلاد المسلمين وأجرى عليهم الأرزاق ، وعاملهم معاملة المسلمين فى السلم وفى الحرب، حتى يخلو له الطريق فى حملاته إلى بلاد الروم . وبناء على سياسته هذه ، أخرب مدينتهم حتى لا تكون مأوى لهم وللروم من بعد ، وأسكنهم "جبل الحوار" و"سنح اللولون" و"عمق تيزين"، وصار بعضهم إلى حمص، ونزل بطريق الجرجومة فى جماعة معه إلى أنطاكية من ثغور المسلمين ، ثم هرب منها إلى بلاد الروم . وبهذا يمكن أن نقول : إن نشاط الجراجمة ضد المسلمين قد انتهى بهذا العمل من مسلمة طيلة ما تبقى من عمر دولة الأمويين .

وفى سنة (٩٠هـ) اقتصرت غزوات مسلمة على ما كان بأيدى الروم من القلاع والحصون التى كانت قائمة على أرض الإقليم المتاخم للجزيرة وديار بكر من الناحية الشمالية، والذى كان يطلق عليه أنذاك اسم "سورية" واستولى مسلمة على حصونها الخمسة(٢).

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٩١ ، وينظر : فيليب حتى: تاريخ سورية ٢/ ٥٤ .
(٢) على صافى حسين : مسلمة بن عبدالملك ، ص ٥٢ .



وفى سنة إحدى وتسعين غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب[١] من بحر أذربيجان، ففتح مدائن وحصونا، ودان له مَن وراء الباب، ثم فــى ســنة اثنتين وتسعين عاود مسلمة غزو بلاد الروم، ففتح حصونا ثلاثة، وجلا أهل "سوسنة" إلى بلاد الروم[٢].

بعــد هذه السلسلة الناجحة لمسلمة بن عبدالملك فى حملاته ضد الــروم، وبعدمــا وثق به أخو الوليد الخليفة، عينه واليا على الجزيرة وأرمينية[٣] . بعد أن عزل عنها عمه محمد بن مروان، وجعل لمسلمة حرّب يزيد بن المهلب الذى كان يخشى خطره ٠

غير أن ولاية مسلمة للجزيرة وأرمينية لم تكن إيذانا بتوقف حملات الصوائف والشواتى فى بلاد الروم، وإنما كان قد تخرج على يد مسلمة جماعــة من القواد الذين تمرسوا فى هذه العمليات، منهم : العباس بن الوليد وأخواه مروان بن الوليد ، وعبدالعزيز بن الوليد. كما لم يتوقف مسلمة نفسه عن الغزو،حتى وهو وال على الجزيرة وأرمينية٠

ونعود إلى متابعة الحملات ، فنجد غزوة العباس بن الوليد لبلاد الروم سنة(٩٣هــ)،حيث فتح الله على يديه "سمسطية"[٤] و"المرزبانيين"

---

(١) الباب : مدينة على بحر طبرستان ، وهو بحر الخزر ، لا مسلك على جبلها إلــى بلاد المسلمين ، لدروس الطرق وصعوبة المسالك ، وهى أحد الثغور الجبلية ( معجم البلدان ١ / ٣٠٣ ) ٠

(٢) تاريخ الكامل ٤/ ١١٩ ٠

(٣) تاريخ الكامل ٤ / ١١٩ ، نهاية الأرب ، ٢١/ ٣٢٠ ٠

(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ٤٦٩ ، ويسميها ابن الأثير : "سبسطية" ٤/١٢٥ ٠



و"طرسوس"(١) وغزا مروان بن الوليد أيضا فى نفس العام فبلغ "خنجرة". وغزا مسلمة بن عبدالملك أيضا أرض الروم، فافتتح "ماسوسة" و"حصن الحديد" و"غزالة" و"برجمة" من ناحية ملطية(٢).

وفى سنة (٩٤هـ) غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح أنطاكية . وغزا عبدالعزيز بن الوليد فبلغ غزالة، وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام، ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية(٣).

وفى سنة (٩٥هـ) غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة(٤) وغيرها، وافتتح "قنسرين" أيضا ، كما افتتح "طولس" و"المرزبانين" ثم غزا الشاتية بشر بن الوليد سنة (٩٦هـ) (٥). فقفل وقد مات الخليفة الوليد . كما غزا فيها مسلمة بن عبدالملك أرض الروم فى صائفة ، ففتح حصنا يقال له : " حصن عوف " .

---

(١) تاريخ الكامل ٤ / ١٢٩ .

(٢) تاريخ الكامل ٤ / ١٢٩ ، تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٩١ .

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ٤٨٣ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٣٠ .

(٤) لا غرابة فى أن يتردد اسم البلد أو الحصن أكثر من مرة؛ فإن عمليات الصوائف والشواتى كانت فى أصلها عبارة عن عمليات كروفر متعاقبة فى بلاد الروم، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الروم فى هذه البلدان كانوا كثيرا ما يعاودون تجمعهم فيها بسرعة بعد عودة الحملات، وفى هذا شبه بما كان يحدث فى نفس الأثناء مع القوات الأموية فى بلاد البربر بشمال إفريقية ، حيث كان البربر كثيرا ما ينقلبون عن طاعة المسلمين ، مع فارق مهم هنا. وهو أن الفتح فى شمال إفريقية، كان بمثابة حملات عامة كبرى تستهدف إقرار السيادة للمسلمين أما الحملات فى بلاد الروم فكانت لها أهداف أخرى ، بخلاف أنها من حيث العدد والقصد لم تكن على مستوى عمليات الفتح فى الشمال الإفريقى .

(٥) تاريخ الطبرى ٦ / ٤٩٥ ، تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٩٢ .

أثار هذا النشاط البالغ للأمويين فى اراضى الروم فى عهد الوليد بن عبدالملك مخاوف البيزنطيين ، وبخاصة وأن هذه الفترة التى شهدت هذا النشاط الأموى ، قد واكبتها أحداث خطيرة فى داخل الدولة البيزنطية؛ حيث كان ذلك الاضطراب الخطير الذى هز كيانها، نتيجة لتعاقب الأباطرة والثورات الكثيرة ضدها،وطمع الأعداء من جيرانها(١).

وقد أدت الفوضى التى وصلت إليها بيزنطة إلى قيام ثورة ضد "جستنيان" بقيادة "باردانس" الذى أصبح امبراطورا تحت اسم "فيليبكوس" (٩٢ ــ ٩٤هــ) ، غير أنه لم يتمكن من فعل شئ لمواجهة هذه الأوضاع المتردية فى الداخل، واكتفى بتعمير المناطق التى تعرضت لهجمات المسلمين بجماعات من الأرمن ، حتى دبَّر الجيش بقيادة الوزير "أرتيميوس" مؤامرة أطاحت بالإمبراطور، وعُين هذا الوزير الثائر إمبراطورا باسم "أناستاسيوس الثانى" (٩٤ ــ ٩٦هــ)٠

فكان من أول اهتمامات هذا الإمبراطور تقوية جبهة أسيا الصغرى لمواجهة نشاط الأمويين المتزايد ، وبدأ بتعيين قائد كفؤ من قواده على الأناضول، ويدعى "ليو"، ثم قام بإرسال سفارة إلى الخليفة الوليد، أكدت هذه السفارة بعد عودتها للإمبراطور الأنباء التى تفيد أن الوليد يُعِد لحملة كبرى هدفها القسطنطينية، فكان على الإمبراطور

---

(١) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٠٠ ٠

البدء في الاهتمام بوسائل الدفاع البرى والبحرى تحسبا لحصار قد يطول[1].

ولعله بهذا لم ينس الحصار الأموى السابق لعاصمته أيام معاوية ابن أبى سفيان. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فكر فى إرسال حملة بحرية لمهاجمة المراكز البحرية الإسلامية، بهدف تعطيل استعدادات الأمويين. غير أنه لم يتمكن من ذلك حيث قد حدث تمرد فى داخل صفوف الجيش البيزنطى، واندلعت حرب أهلية أُطيح فيها بالإمبراطور (٩٦هـ)[2].

وهكذا سارت الأمور فى كلا الجانبين ، فتنٌ وثورات فى داخل البلاط البيزنطى، تتمخض عن خلع الإمبراطور الذى حاول شيئا تجاه الأمويين، وتولّى سليمان بن عبدالملك عرش الأمويين، والدولة فى أوج قوتها واستقرارها وقوة نشاطها ضد الروم الذين تولى عرش إمبراطوريتهم "تيودوسيوس الثالث" .

واستعد الإمبراطور لمقاومة الأمويين بالاهتمام بالحصون والأسوار وتخزين الغلال ، بينما راح الخليفة سليمان يستكمل استعدادات سلفه، مع الاستمرار فى المناوشات على جبهة الحدود فى آسيا الصغرى .

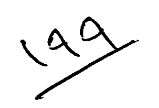
(١) وديع فتحى عبدالله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص ٨١ .
(٢) المرجع السابق .

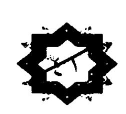
ففى سنة (٩٧هـ) أرسل الخليفة ابنه داود بن سليمان فى صائفة فافتتح "حصن المرأة" ، وغزا مسلمة بن عبدالملك ففتح حصن الوضاحية[١]، وفى نفس العام، ورداً على تهديدات البيزنطيين البحرية، أرسل سليمان شاتية بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الفزارى، فشتا بأرض الروم من البحر[٢] .

وهكذا بدأ سليمان بن عبدالملك استعداداته الهائلة لمهاجمة القسطنطينية "ولاسيما أنه كان قد حدثه جماعة من العلماء أن الخليفة الذى يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبى ، فطمع فى ذلك"[٣] . فجمع فى مرج دابق بقُرب حلب فى منطقة الثغور جنودا من كل أنحاء الإمبراطورية الإسلامية وبخاصة من الشام والجزيرة، بلغ عددهم أكثر من مائة وعشرين ألفا، وأخرج معهم جماعة من الفقهاء، كما جمع أدوات الحرب من كل صنف، للصيف وللشتاء، وأصبح من اهتمامه بالحملة يُقيم فى مرج دابق أكثر مما يقيم فى الرملة، ليشرف بنفسه على إعدادها . كما حرص على أن تخرج الحملة البرية تواكبها حملة بحرية قوية[٤] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ٥٢٣ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٤٦ .
(٢) المصدران السابقان .
(٣) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٠١ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ٢ / ٤٩ .
(٤) أورد الأميرالاى لا إسماعيل سرهنك فى كتابه :" حقائق الأخبار عن دول البحار " ص٢٠٠ أن سليمان أخرج حملة بحرية قوامها ١٨٠٠ سفينة، كل سفينة تحمل مائة جندى وعلى ذلك تكون الحملة البحرية فقط قد ضمت ١٨٠,٠٠٠ جندى ، وهذا فيه كثير من المبالغة .





وجعــل ســليمان بــن عبدالملك أخاه مسلمة على رأس الحملة، فخــرج مــن مرج دابق سنة (٩٨هــ) بجيش أشبه بالغابة المتحركة، لكــثرة الجند، وخرج سليمان بنفسه يودع الجيش ويوصيه ، وفى هذه الأثــناء تداخلــت الأحــدث ، وجَــدَّت مسألة كان لها شأن فى تطور الأوضــاع بالنســبة لكــلا الجانبيــن ، المسلمين والروم " فقد ظهرت شخصية جديدة من جانب الروم ، وهى شخصية "ليو الإيسورى " حاكم عموريــة من قِبَل الروم، الذى اختلفت الروايات بشأنه ، فبعضها يرى أنــه جاء سليمان ــ لما علم بعزمه على غزو القسطنطينية ــ فعرض علــيه العون والمساعدة فى غزوه للروم، فى مقابل أن يساعده سليمان فــى اعــتلاء عرش الروم، فيحكمهم باسم سليمان، فوجه سليمان أخاه مســلمة بحملته مع "ليو" هذا ، فسار بهم، والمسلمون يقتلون ويأسرون فى الروم بالجملة[١].

وبعــض الروايات على أن سليمان لما سار مع الجيش لقيه "ليو" فعــرض علــيه المساعدة، وأن ما جرى كان بين سليمان نفسه و"ليو"، فســعى هــذا الأخير لمهادنة سليمان حتى يحتفظ بعمورية فى مواجهة خطر المسلمين، ويُنقذ أبناء وطنه من أن تُروى الأرض بدمائهم[٢].

ومهمــا اختلفــت الروايات ، فالأمر الثابت أن حكومة الروم فى ذلــك الحيــن كانت على قدر كبير من الضعف والتمزق، بحيث طمع

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ٥٣٠ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٤٦ .
(٢) وديع فتحى عبدالله: العلاقات بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص٨٥

بعض الولاة فى اعتلاء العرش ، مثل "تيدوس الأرمنى" الذ تأهل للحكم بعدما عزل "أنستاس الثانى" ، لكن هذا لم يرق "ليو" حاكم عمورية الذى كان يطمح هو الآخر فى الوثوب على السلطة وتولى عرش الامبراطورية .

فهذا المعنى الأخير يدلنا على أن "ليو" هذا ما ظهر إلا فى أثناء زحف المسلمين فى بلاد الروم، وباقترابهم من عمورية مقر حكمه، فبادرهم بالمهادنة بنية تخويف الروم بهم ، وفى نفس الوقت التمكين لنفسه فى الحكم. يُعزز هذه الرواية أن سليمان فى الغالب لم يخرج من دولته ، ولم يصاحب الحملة فى سيرها[١].

والخلاصة إذن تكمن فى أن "ليو" لما أحس الوهن فى حكومة القسطنطينية التى حاولت برا وبحرا مهاجمة المسلمين وتعويق حملتهم دون جدوى، ورأى أن مقاليد السلطة يمكن أن يتنازعها غيره ، لما رأى كل هذا فكر فى كسب الأمور لمصلحته لتحقيق ما تقدم.

على كل حال فإن نوعا من المراسلات قد تم بين مسلمة وليو. وتقدمت زحوف المسلمين فى بلاد الروم، حتى عبرت أرمينية وعمورية. وأخذت طريقها إلى القسطنطينية ، فلما دنا مسلمة منها أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من الطعام على عجز فرسه، ففعلوا.

---

(١) فى الطبرى أن سليمان لما ودع جيش مسلمة أقسم ألا يبرح مرج دابق حتى يدخل جيش المسلمين القسطنطينية ، فبقى بها حتى مات (٦/ ٥٣١) وهذا يعزز رأى من يقول : إن لقاء "ليو" ومهادنته كان مع مسلمة لا سليمان الخليفة.

فلمـــا أتـــى أسوار القسطنطينية أمر بالطعام فأُلقى أمثال الجبال، وقال لجـــنده: لا تأكلوا منه شيئا، وأغيروا فى أرضهم وازرعوا، وأقام بيوتا مـــن الخشـــب، شـــتى فـــيها وصاف، وزرع الناس، وبقى الطعام فى الصحراء، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع ، وأقام مسلمة قاهرًا للروم، معه من أعيان الناس: خالد بن معدان، ومجاهدابن جبير ، وعبدالله بن أبى زكرياء الخزاعى، وغيرهم(١).

فلمـــا ضاق الروم بما يفعله مسلمة وجنده، أرسلوا إليه يهادنونه علـــى أن يعطوه عن كل رأس منهم دينارا(٢)، فلم يقبل ذلك منهم. هذا فى الوقت الذى أدرك فيه كبار رجال الإمبراطورية خطورة الأوضاع التى تتعرض لها بيزنطة فى ظل إمبراطور ضعيف، فاختاروا "ليو"(٣) إمـــبراطورا بعـــد أن تنازل "ثيود وسيوس الثالث" بهدوء وبدون إراقة دمـــاء، مقابل ضمان سلامته ، والراجح أن ثيود وسيوس قد تنازل عن

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٠ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٤٦ .

(٢) هـــذا شـــبيه بمـــا كان يتم فى فتوحات شمال إفريقية، حيث كان قواد الفتح يأخذون من سكانها "البقط " ــ قدر معين من المال ــ فى مقابل الأمان.

(٣) يســـمى "ليو الإيسورى" أو "ليون المرعشى" ويظهر من اسمه أنه من أصل سورى ، من عناصر الجراجمة التى كانت تسكن على حدود الشام، ومن ثم كانـــت معرفـــته للغـــة العربـــية . هذا فهْمُ بعض المحدثين لشخصيته، لكن الـــتعريف الأدق به ، هو ما يراه الدكتور : إبراهيم أحمد العدوى فى كتابه : الأمويون والبيزنطيون ص٢١٤ ، حيث يقول عنه : إنه من مواطنى المناطق الجبلية فى إقليم "إيسورة" ، ولكنه قضى فترة طفولته فى مدينة "مرعش" على الحـــدود الإسلامية البيزنطية ، وبذلك أتيح له أن يعرف اللسان العربى، وأن يفهـــم تقاليد الإسلام، ومطامح المسلمين، وقد تطورت شخصية ليو كقائد كفؤ من قواد الروم فى الوقت الذى كان فيه الخليفة الوليد يُعد أخاه مسلمة لحصار القسطنطينية .

العرش بعد تأكده من صعوبة مواجهة المسلمين الذين تقدموا مجتاحين كل ما يعترضهم[١].

وهكذا شاءت الأقدار أن تمنح بيزنطة رجلا أقل ما يقال عنه أنه يستطيع مواجهة الأخطار التى تهددها . فغير خافٍ أنه فى الوقت الذى اعتلى فيه العرش كانت منطقة آسيا الصغرى وحتى البسفور مفتوحة أمام المسلمين . بينما لم يكن لديه سوى جيش منهك ، حطمته الحروب والثورات الداخلية. حتى وصلت الإمبراطورية إلى أقصى درجات الضعف والتردى. ويكفى أنه تعاقب على حكمها ستة أباطرة فى حوالى عشرين عاما ، فكان عليه مواجهة الزحف الإسلامى الذى اقترب من بحر إيجة[٢].

وعلى العموم ، فقد تولى "ليون" عرش الروم باسم "ليون الثالث"، وعقدوا على رأسه التاج، فوعدهم أن يخلصهم من العرب الغزاة، حيث كان يعتبر مقاومة المسلمين دفاعا عن المسيحية، لذلك أعاد تقوية الحوائط والأسوار ، وأرسل جيشا لقطع خطوط تموين المسلمين، الذين ألقوا الحصار حول العاصمة ووضعوا المجانيق عليها[٣].

هذا تفسير لرواية الطبرى التى يورد فيها أن الروم لما وثقوا فى "ليو" قالوا له : إن صَرَفت عنا المسلمين ملَّكناك[٤] . فأرسل ليون إلى

(١) وديع فتحى عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص٨٦ .

(٢) المرجع السابق والصحيفة .

(٣) عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية ، ص ٢٠١ .

(٤) تاريخ الطبرى : ٦ / ٥٣٠ ، تاريخ الكامل ٤ / ١٤٦ .

مسـلمة أن ابْعـث إلىّ برجُلٍ من عندك يكلمنى، فبعث إليه بابن هبيرة، فقـال ابـن هبيرة: ما تعدون الأحمق فيكم؟ قال: الذ يملأ بطنه من كل شئ يجده. فقال ابن هبيرة : إنا أصحاب دين، ومن ديننا طاعة أمرائنا، قـال: صدقت. كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له، فأما اليوم، فإنا نقاتل على الغلبة والملك، نعطيك عن كل رأس دينارا[١] فرفض وعاد٠

وثَمَّ لجأ ليون إلى خديعة أخرى، إذ أشار على مسلمة بقوله: "إن الـروم قـد علموا أنك لا تصدقهم القتال، وأنك تطاولهم ما دام الطعام عـندك ، فلـو أحرقته أعطوك الطاعة بأيديهم، فأمر بالطعام فأحرق، فقـوى الروم، وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون، وبقوا على ذلك حتى مات سليمان[٢] ٠

لكنى أرى فى هذه القصة شيئا من الغرابة والخيال ؛ فلو صح أن لـيون تقـدم بهذا العرض لملسلمة، فلا يعقل أن يحرق هذا طعام جنده وهو فى جوف بلاد عدوه، كما أن الطبرى وابن الأثير قد رويا من قبل أن جـند المسـلمين قـد تـركوا الطعام الذى ذهبوا به فى الصحراء وارتزقوا من الزرع والفيئ ٠

ويصبح الأمر الذى يمكن تصوره أن ليون لما ولى العرش حاول اسـتمالة مسـلمة قـدر جهده ، فى حين هو مستمر فى تقوية دفاعاته وتوحـيد صـفوفه، وتخزيـن مؤنه ، وكان مسلمة يدرك هذا ، فأحكم

---

(١) المصدران السابقان ٠
(٢) المصدران السابقان، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٠٠/١ ٠

حصاره على القسطنطينية ، ذلك الحصار الذى لم يكن فى صالح المسلمين. حيث طال أمده، ودخل فصل الشتاء ، وكان البرد شديدا ، والعرب كما سبق لا يحبون غزو الشتاء، ولم يستطع الخليفة إزاء هجمات الروم وجيوشهم التى يبثونها، أن يمد مسلمة بجند آخرين. حتى أنه كان كلما أرسل مددا بريا فَرّقه الروم، فى حين لم تثمر الإمدادات البحرية التى ذهبت من مصر وإفريقيا إلا فى طول أمد الحصار وحسب.

وهكذا بدأت المُؤن فى النفاذ ، وأصبح الجند يأكلون أصول الشجر والورق والدواب والجلود ، وكل شئ إلا التراب[1] ، كما أصبح خطر المجاعة وانتشار الطاعون يهدد الجند ، بالإضافة إلى مساندة البلغار للبيزنطيين ، وبالفعل تمكن البلغار من إلحاق هزيمة بالقائد البحرى عمر بن هبيرة[2].

وهكذا استمر حصار المسلمين للقسطنطينية طوال عهد سليمان الذى توفى سنة (٩٩هـ) وتولى من بعده عمر بن عبدالعزيز ، فرأى ضرورة انسحاب الجيش، وأن لا أمل فى بقاءه ، فأرسل إلى مسلمة يأمره بالانسحاب، بعد أن أرسل إليه شيئا من الإمدادت يتقوى بها فى انسحابه، فرفع مسلمة الحصار فى ٢٨ ذى الحجة سنة (٩٩هـ) وقام الأسطول البحرى بنقل الجيش البرى فى عودته إلى آسيا

---

(١) تاريخ الكامل ٤/ ١٤٧ ، نهاية الأرب ٢١ / ٣٤٨ .
(٢) وديع فتحى عبدالله : نفس المرجع ص ٩١ .

الصـــغرى، ولكـــن تعرض هذا الأسطول لعاصفة شديدة أثناء عبوره الأرخبـــيل، فتشـــتت الســـفن ، وهاجمها البيزنطيون فوقعت للمسلمين خسائر كبيرة٠

ولا يتســـع مجال هذا البحث لتفصيل كل الأسباب التى أدت إلى فشـــل هذا الحصار ، وغاية ما يمكن قوله باختصار: إن القسطنطينية كانـــت مدينة قوية الحصون والأسوار، ذات موقع متميز باستراتيجيته بـــرا وبحرا، وكل هذا يسهل للمحاصَرين بها المقاومة لفترات طويلة، ويضمن تموينها برا أو بحرا ، بالإضافة إلى أن الروم رغم ما اعترى حكومـــتهم وجيشهم فى تلك الفترة من الضعف والتمزق، إلا أنهم كانوا مـــا يزالون على قدر كبير من القوة التى مكنتهم من مناوشة المسلمين فى كل الجبهات، وتَحَمل مرارة الحصار ٠

وبالإضـــافة لكـــل مـــا سبق فإن البيزنطيين قد استخدموا النار البحرية لتدمير سفن المسلمين، هذه النار عبارة عن مركب مخصوص من الكبريت النقى وحامض الطرطريك والصمغ الفارسى والقار الخام والنترات، يمزج هذا الخليط جميعه ثم يغمس فيه نسيج الكتان ، وتشعل فـــيه الـــنار، فينتشر منه اللهب الحارق فى الحال ، ويستمر مدة ، ولا يكـــون تأثـــيره علـــى خط مستقيم فقط، بل يحرق يمينا وشمالا وأعلى وأسفل، ولا يُطفئه الماء بل يزيده اشتعالا[١] ٠

---

(١) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار ١ / ١٨٩ ٠

وقد قيل إن الذى اخترع هذه النار البحرية هو مهندس دمشقى من سورية، اسمه "كالينيكوس" كان قد هاجر إلى القسطنطينية بعد وقوع اقليم الشام فى أيدى المسلمين ، وكان هذا الرجل ممن حذقوا أعمال الهندسة والكيمياء ، وتمكن من اختراعه هذا فى أثناء فترة الحصار الثانى الذى كان المسلمون قد فرضوه على القسطنطينية فى آخر سنى معاوية بن أبى سفيان (٥٤ ـ ٦٠هـ) ، وحرص البيزنطيون على الاحتفاظ بسر هذه النار مدة طويلة من الزمن، كتموا سر صناعتها، حتى صارت تُعرف بـ"النار الإغريقية" أو "النار اليونانية" ،

وقد أمدت الإمبراطورية البيزنطية حلفاءها بهذا السلاح من المفرقعات أو السفن المجهزة بقذائف النار البحرية، دون أن تُطلعهم على سر تركيبها أو خواصها. إذ كانت أهم الوصايا التى يُلقنها الإمبراطور لولى عهده حين يُعده لتولى مقاليد الأمور هى الاحتفاظ بسر صناعة هذه النار ، وألا يشير إليها بما قد يكشف عن خواصها، وإنما يقصر قوله عنها بأنها من وحى الله وإلهامه ، ونفذ الأباطرة هذه الوصية بعناية مدة أربعة قرون ، حتى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى. حيث استطاع المسلمون فى عصر نهضتهم ونبوغهم العلمى بأبحاثهم ومثابرتهم أن يعرفوا سر هذا السلاح. ثم أدخلوا عليه من التعديلات ما جعله أشد فتكا وأقوى أثرا من النار الإغريقية[١] ،

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى: الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٧٨ ،

واستخدم المسلمون هذه النار الجديدة فى الحروب الصليبية التى دارت رحاها بأرض الشام ، وكأنما أرادوا أن يثبتوا مقدرتهم على النهوض بتراث الأمويين الحربى الذى خلفوه بدمشق عروس إقليم الشام، والتى واجهت جيوشها النار الإغريقية لأول مرة فى التاريخ الإسلامى، فكانت النار التى قذفها المسلمون مثار رعب وفزع فى قلوب أعدائهم ، ولم يستطع الصليبيون رغم تظاهرهم بالشجاعة والبأس إخفاء ذُعرهم من هذه النار ، إذ وصفها أحدُهم قائلا : "انطلقت النار علينا أشبه بتنين ذى جناحين طويلين، رأسه تقرب من رأس الكلب، وكانت مصحوبة بصوت أشبه بالرعد، وبضوء أشبه بالبرق الخاطف، وتبدد الظلام فجأة بهذا النور القاتل" ، وغدت هذه النار تنسب إلى المسلمين، وتدعى " النار الإسلامية" ، لأن الأعداء عجزوا عن معرفة سر هذا السلاح الجديد الذى احتضنه المسلمون . وظل استخدام النار الإسلامية سائدا حتى القرن الرابع عشر الميلادى، حيث دخلت عليها تعديلات وتطورات أدت أخيرا إلى صناعة البارود[١].

هذا عن الجانب البيزنطى، أما من جانب المسلمين ، فإن خطتهم فى حصار القسطنطينية كانت محكمة ، وتم الإعداد لها منذ عهد الخليفة الوليد ، ثم أتم سليمان من بعده هذه الخطة على أحكم وجه؛ فها هو قد عيَّن أشهر قواد الأمويين آنذاك ، وأخبرهم بحرب الروم، وهو مسلمة بن عبدالملك ، وجعل قوام جيشه ما بين مائة وعشرين ومائة

(١) إبراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٧٨ .

وثمانين ألفا، وتكاتفت مصر والشام وشمال إفريقيا على تزويد الحملة الإسلامية بكل ما تحتاج إليه من عدة وعتاد .

ولم يبرح سليمان مرج دابق ، متابعا منها أخبار الحملة وتزويدها بالأمداد اللازمة برا وبحرا ، وعلى كافة النواحي، بما يكفل للحملة السيادة والقوة، غير أن الظروف والعوامل التي أسلفناها قد أدت إلى ضرورة انسحاب المسلمين، وتكبدهم خسائر جسيمة .

ويمكن أن نلحظ هنا ، أنه في أثناء حصار مسلمة للقسطنطينية، كانت حملات الصوائف والشواتي تخرج برا وبحرا، لتعزيز موقف الجند، وإمدادهم، كما حدث في عهد سليمان ، حينما أخرج ابنه داوود إلى أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية سنة (٩٨هـ) . وحينما أخرج الوليد بن هشام وعمرو بن قيس، فأصابا أناسا من أهل أنطاكية، وأيضا حينما بلغ عمر بن عبدالعزيز ما فيه جند مسلمة من الضرر والفاقة، فوجه عمرو بن قيس على الصائفة، ووجه معه الكساء والطعام والأغطية لمن كان مع مسلمة من المسلمين[١] وهكذا لم تتوقف حملات الصوائف والشواتي ، بل كانت سياسة ثابتة من زمن عبدالملك إلى الآن .

وأخيرا عادت الجيوش الإسلامية إلى قواعدها، بعد أن أدت رسالتها في إعزاز دولة الإسلام ، وحَمَلت عاصمة دولة البيزنطيين

---

(١) تاريخ الطبرى : ٦ / ٥٣٢ ، تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣٠٢ .



وأباطـرتها علـى التخلى عن مشاريعهم وأحلامهم القديمة فى استعادة سالف أراضيهم التى دخلت فى رقعة الإسلام. وترك الخلفاء الأمويون بحملاتهـم المتكررة على القسطنطينية سجلا حافلا بجهودهم فى نصرة الإسـلام، وحافـزا جعل خلفاءهم فى دولة الإسلام يتطلعون للاستيلاء علـى هـذه العاصمة، وظلت رسالتهم ماثلة حتى حققها شعب إسلامى فـتى، هم الأتراك العثمانيون، بعد انقضاء سبعة قرون تقريبا على هذه الحملة الأموية الكبرى زمن الخليفة سليمان بن عبدالملك(١).

كما نستطيع بيُسر أن نسجل ملحوظة مهمة فى هذا الصدد . فإذا كـان المسلمون والبيزنطيون هما قوتا العالم الضاربتان أنذاك، وبينهما مـن الـتكافؤ فـى القـوى والاستراتيجية قدر كبير، وهما الجارتان اللدودتـان تقريبا ، ولكل منهما دوافعها فى مهاجمة الأخرى، إذا كان ذلـك كذلك، فيكفى الأمويين أنهم طوقوا عاصمة أعدائهم ثلاث مرات فـى خـلال نصف قرن تقريبا، وفى كل مرة عطلوا جهود البيزنطيين وأحلامهـم ، بـل وأرهبوهم ، فى حين لم يستطع البيزنطيون ولا مرة عَمَلَ نفس الشئ ضد دمشق عاصمة الأمويين .



(١) ابراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٢٢٣ .

مثل عهد سليمان عصر أوج الفتوحات الإسلامية ؛ تدعيما لسياسة سلفه الوليد بن عبدالملك، ثم توج سليمان كل ذلك بحملته الكبرى التي أخرجها إلى القسطنطينية، مُمدا لها ببعض الحملات المساعدة. وبما يكفل لها قدرا كبيرا من السيادة والتفوق . ولكن أحوال الدولة الإسلامية على عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز اقتضت إيجاد فترة استقرار في تيار الفتوحات لتدعيم الصرح الإسلامي العظيم الذي ظهر وعلا، إذ غدت الدولة الإسلامية تمتد من حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا ، ومن بحر أرال شمالا إلى شلالات النيل السفلى جنوبا[1] . وأصبحت بذلك تبذ سائر الإمبراطوريات الكبرى التي عرفها التاريخ من قبل، وتقضي أوضاعها الزمنية توجيه الجهود إلى تنظيمها وتأمين رقعتها قبل الاستمرار في الفتح والتوسع .

وتوافقت سياسة عمر بن عبدالعزيز مع هذه الأوضاع ، فلم يكن يميل للعنف، بل تبنى سياسة حذرة أقل هجوما، جاعلا من التحركات التي تجري على الحدود مجرد مناورات محلية، فهو يريد أن تكون تحصيناته على الحدود أقل تعرضا لضربات الأعداء ، مع كونها قوية منيعة . ومجمل القول أنه كان يرى أن الحدود لا ينبغي أن تُهدد العدو بقدر ما تمنعه من الوصول إلى الأراضي الإسلامية . ومن هذا

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٢٢ .



المفهوم أرسل إلى " ليو " يدعوه للإسلام ، كما كان النشاط الحربي في عهده تجاه بيزنطة مقتصرا على صوائف عام (١٠٠هـ) [١].

فقد أغزا عمرُ بن عبدالعزيز في هذه السنة الوليدَ بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة على الروم. فبتولية إياهما الصائفة يظهر لنا أنه اتخذ سنة جديدة في قيادة الحملات تقضي بأن يتولاها ولاة الأقاليم بدلا من أبناء الخلفاء والأمراء.

وكان عمر بن عبدالعزيز يقاتل الروم على أساس السُّنة القديمة. فكان يدعو أهل الحصن من حصون الروم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، ومن ناحية أخرى نظّم للمرابطين في الثغور حياتهم، فجعل الرباط أربعين يوما، ووضع الممرات والدروب تحت إشراف حكام الثغر أو حراس الحدود[٢]، كما أخلى المدن الأمامية المواجهة للبيزنطيين، مثلما فعل بمدينة " طرندة " ، ففي سنة (١٠٠هـ) أمر المسلمين المقيمين بها بالقفول عنها إلى ملطية، حيث كانت "طرندة" واغلة في بلاد الروم من ملطية بثلاث مراحل ، وكان عبدالله بن عبدالملك قد أسكنها المسلمين، بعد أن غزاها سنة (٨٣هـ)، وملطية يومئذ خراب، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن

---

(١) وديع فتحي عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، ص٩٧ .
(٢) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ٢١٧ .

يـــنزل الثلج ثم يعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك حتى أمرهم عمر بالعودة إلى ملطية، خوفا على المسلمين من العدو[١] .

كمــا ظهـــرت طبيعة عمر بن عبدالعزيز الإنسانية في محاولته معالجة مسألة الأسرى، لا من المسلمين فقط، بل من الروم أيضا، مما يـــدل علـــى امـــتلاء قلـــبه بحب البشرية، فقد دخل في مفاوضات مع البيزنطييـــن للبحث في مسألة فداء الأسرى من المسلمين ، الذين وقعوا فـــى الحمـــلات الـــتى وُجهـــت إلى آسيا الصغرى طوال حكم الخلفاء السابقين، فكانت المفاوضات في سبيل ذلك أول أمر وقع بين المسلمين والـــروم ، وكـــان يعطى برجل من المسلمين عشرة من الروم، وكذلك حَفـــظ للأسير امرأته، فقضى بألا تُنكح وزوجها في الأسر، ومن ناحية أخرى كان يكره قتل أسرى العدو ، فكانوا يُسترقون أو يُعتقون[٢].

وعمومـــا ، فـــإن سياســـة عمـــر بن عبدالعزيز هذه قد واكبت عصـــرها، واستلزمها واقع الحال، فالأمويون منذ عام (٧٣هـــ) تقريبا إلـــى الآن وهم في حالة صراع دائم مع الروم ، في سلسلة طويلة من الحمـــلات الـــتى لم تكد تخل منها سنة من السنوات ، صحيح أن كفة الأمويين كانت هى الراجحة ــ فى الغالب ــ طيلة هذه الفترة ، لكن قد آن الأوان لالـــتقاط الأنفاس وترتيب الأوضاع داخليا وخارجيا، وحتى علـــى الحدود ، وباعتقادى لولا هذه السياسة المتأنية، والعودة للاهتمام

---

(١) تاريخ الكامل ٤/ ١٥٩ ، النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٤ ، وديع فتحى عبدالله : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

(٢) ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية ، ص ٢١٨ .

بعمق الدولة وداخليتها، لتبدلت الأحوال، ونضحت على جسد الدولة مشاكلها الداخلية، وهزلت أمام أعدائها فى الخارج ٠

على كل حال لم تطل هذه السياسة، فقد توفى عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠١هـ) ، بعد أن استطاع فى حوالى العامين توطيد الأمور وتسكينها، وتجديد شباب الدولة، وخلفه يزيد بن عبدالملك، فورث عرشا آمنا وحياة داخلية هادئة، استشعر بهما ضرورة العودة إلى سياسة أبيه وإخوته تجاه الروم ، ساعده فى ذلك أن القوات الإسلامية كانت ما تزال على قدر من القوة يمكنها من إلحاق الضرر بالإمبراطورية، عن طريق شن الهجمات السنوية على المدن البيزنطية فى آسيا الصغرى ، والتسلل عن طريق الممرات القيليقية فى أدنة وطرسوس ٠

وبالفعل استغل المسلمون هذه الطرق ، واتجهت حملاتهم إلى شرق أسيا الصغرى ، ففى سنة (١٠٢هـ) فتح الأمويون قلعة "دبسة" ، ولما كانت أرمينية فى فترة ما بعد فشل الحصار على القسطنطينية قد انضمت إلى الروم ، فقد أرسل إليها يزيد بن عبدالملك جيشا بقيادة عمر بن هبيرة، فقاتل الروم وأهل أرمينية وهزمهم وأسر منهم بشرا كبيرا، قيل سبعمائة أسير[١] . كما غزا العباس بن الوليد فى نفس السنة (١٠٢هـ) [٢] أرض الروم ففتح مدينة "رسلة" ، ثم افتُتحت مدينتى

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٦١٦، تاريخ الكامل ٤ / ١٨٢ ، نهاية الأرب ٢١/٣٧٧
(٢) هذا عند ابن الأثير ، أما الطبرى فيوردها فى أحداث سنة (١٠٣هـ)٠

ســـيبرة وقيصرة في سنة (١٠٤هـ) وذلك بواسطة الصائفة اليمنى بقـــيادة عبدالرحمن بن سليمان الكلبى، والصائفة اليسرى بقيادة عثمان ابن حيان المرى[١].

وثمـــة ما نلاحظه على هذا النشاط ، وهو أن هدف الأمويين قد أصــبح مقتصرا على الخط الممتد من جبال طوروس إلى قبادوقيا، مع إرســـال حملات موسمية لتأمين قواعد الهجمات الإسلامية ، أو إزعاج البيزنطيين فى جنوب قبادوقيا . وبالتدريج رسخت فكرة إرسال حملتين وأحيانا ثلاث حملات سنويا[٢].

لكن يبدو أن هذه الحملات كانت غير ذات أثر على الروم بالقدر الكـــافى . فاســـتغلوا فترة السياسة المثالية فى عهد عمر بن عبدالعزيز ومـــا تلاها من انشغال يزيد بن عبدالملك بمشاكله فى بناء جدار بشرى بيـــنهم وبيـــن المســـلمين ، كانـــت لبـــناته من الأرمن والخزر أعداء المســـلمين، وهذه كانت من ثمار سياسة ليو الإيسورى ، التى أراد بها توطيد علاقاته مع هذه الشعوب . وبمقتضاها اضطر الخليفة يزيد إلى إرســـال حملـــة عسكرية بقيادة ثبيت النهرانى ، دخلت بلاد الخزر من أرمينية ، فاجتمع الخزر فى خلق كثير ، وأعانهم القفجاق وغيرهم من أجناس الترك ، فلقوا المسلمين فى مكان يعرف بـــ "مرج الحجارة" ، واقتـــتلوا هـــناك قتالا شديدا ، فقتل من المسلمين بشر كثير ، واحتوى

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣١٥ .
(٢) وديع فتحى عبدالله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص١٠٣ .



الخزر على عسكر المسلمين ، وغنموا جميع ما فيه ، وأقبل المنهزمون إلى الشام ، فقدموا على يزيد بن عبدالملك وفيهم ثبيت النهراني ، فوبخهم يزيد على الهزيمة، فقال ثبيت: يا أمير المؤمنين، ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ، ولقد لصقت الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال، ولقد طاعنت حتى انقصف رمحى ، وضاربت حتى انقطع سيفى، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد(١).

بذلك أصبح العداء شديدا بين المسلمين والخزر ، فى حين وطد الإمبراطور علاقته بالخزر عن طريق مصاهرتهم(٢). وكان يهدف من وراء هذا كله إلى نقل مركز النشاط الأموى من قلب آسيا الصغرى إلى مناطق أخرى، وجعل المواجهة بين المسلمين وعناصر أخرى من غير الروم ، وتحويل وجهة المسلمين عن القسطنطينية .

وقد أدى انتصار الخزر على الحملة السابقة التى كان على رأسها ثبيت النهرانى إلى الطمع فى مزيد من النصر على المسلمين والتحرش بهم ، فما كان من يزيد بن عبدالملك إلا أن عيّن الجراح ابن عبدالله الحكمى عاملا له على أرمينية ، ثم أمده بجيش كثيف، وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الأعداء، قبل أن يستفحل خطرهم . فسار الجراح، وتسامع به الخزر ، فعادوا حتى نزلوا بالباب والأبواب (مدينتين فى بلاد الخزر)، ووصل الجراح إلى برذعة، فأقام حتى

---

(١) تاريخ الكامل ٤ / ١٨٦ ، نهاية الأرب ٢١ / ٣٨١ .

(٢) قيل انه زوّج ابنه بابنة خان الخزر ، فاعتنقت المسيحية ، وتلقبت باسم "ايرين" . ينظر : وديع فتحى عبدالله : نفس المرجع ص١٠٤ حاشية رقم٣.

استراح الجند، ثم سار نحو الخزر، فعبر نهر " الكر " ، وسمع بأن بعض من معه من أهل هذه الجبال قد كاتب ملك الخزر ، يخبره بمسير الجراح إليه، فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى في الناس : إن الأمير مقيم هنا عدة أيام فاستكثروا من الميرة (الطعام)، فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم ، ويشير عليه بترك الحركة ، لئلا يطمع المسلمون فيه، فلما كان الليل أمر الجراح جنده بالمسير، فسار مجدا حتى انتهى إلى مدينة الباب والأبواب ، فلم ير الخزر، فدخل البلد، وبث سراياه في النهب والإغارة على ما يجاوره، فغنموا وعادوا من الغد، وسار الخزر إليه بزعامة ابن ملكهم، فالتقوا عند نهر "الران"، واقتتلوا قتالا شديدا ، وحرَّض الجراح أصحابه، واشتد القتال، فظفروا بالخزر وهزموهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وغنم المسلمون جميع ما معهم ، وساروا حتى نزلوا بحصن يعرف بـ"الحصين"، فنزل أهله بالأمان على مال يؤدونه ، فأجابهم الجراح ، ونقلهم عن الحصن، ثم سار إلى مدينة يقال لها "يرغوا" فأقام عليها ستة أيام، وهو مجد في قتالهم، فطلبوا الأمان فأمنهم وتسلم حصنهم، ونقلهم منه[١].

ثم سار الجراح إلى "بلنجر" وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة، فشدوا بعضها إلى بعض، وجعلوها حول حصنهم، ليحتموا بها، وتمنع المسلمين من

---

(١) تاريخ الكامل ، ٤/ ١٨٧، نهاية الأرب ٢١/ ٣٨٣ .

الوصول إلى الحصن. وكانت تلك العجل أشد شيئ على المسلمين في قتالهم. فلما رأوا الضرر الذي يقع عليهم منها. انتدبوا جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا ، وتعاهدوا على الموت، وكسروا جفون سيوفهم. وحملوا حملة رجل واحد ، وتقدموا نحو العجل. فلما رأى الخزر الكفار ذلك جدوا في القتال. ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس ، فلم يرجع أولئك حتى وصلوا إلى العجل، وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذي يجمعها ، وجذبوها فانحدرت ، تتلو بعضها بعضا، ونزل الخزر إلى المسلمين (يعني صارت حربا ميدانية مكشوفة) فالتحم القتال واشتد. وعظم الأمر على الجميع ، حتى بلغت القلوب الحناجر. إلى أن انهزم الخزر أمام المسلمين الذين استولوا على الحصن عنوة ، وغنموا جميع ما كان فيه ، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار. وكان مع الجراح بضعة وثلاثين ألفا[1] .

ثم إن الجراح أخذ أولاد صاحب بلنجر وأهله وأرسل إليه فأحضره ورد إليه أمواله وأهله وحصنه، يعني تَمَّ نوعٌ من الصلح بين الجراح وصاحب الحصن، على أثره صار صاحب الحصن على ولاء للمسلمين وعينا لهم . ثم سار الجراح عن بلنجر ، حتى نزل على حصن "الوبندر" وكان به نحوا من أربعين ألف بيت من الترك[2]، فصالحوا المسلمين على مال يؤدونه ، غير أن أهل هذه البلاد تجمعوا

(١) تاريخ الكامل ٤/ ١٨٧، نهاية الأرب ٢١/ ٣٨٣ .
(٢) تاريخ الكامل ٤/ ١٨٧ .



مـن جديـد ، وسدوا الطرق على المسلمين، فكتب صاحب بلنجر إلى الجراح بخبرهم، فعاد الجراح مجدا حتى وصل إلى "رستاق سلى"، وقد حل الشتاء ، فأقام الجراح بجنده ، وكتب إلى يزيد بن عبدالملك يخبره بمـا فتح الله عليه من البلاد، وبما اجتمع عليه من الكفار، ويطلب منه المدد، فوعده يزيد بإنفاذ الجند إليه، فأدركه أجله قبل إنفاذ العسكر إلى الجراح .



# خلافة هشام بن عبدالملك ١٠٥ - ١٢٥هـ

## آخر حلقات النشاط الأموى ضد الروم

توفى الخليفة يزيد بن عبدالملك سنة (١٠٥هـ)، وتولى من بعده أخوه هشام بن عبدالملك، وكانت تلك الفترة تشهد نشاطا فى الصراع بين الأمويين والخزر، الذين توغلت قوات الأمويين فى بلادهم بقيادة الجراح بن عبدالله الحكمى ، حتى صارت شبه محصورة، إلى أن يأتيها مدد الخلافة، فكان من أول مهام هشام أن أرسل إلى الجراح ببلاد الخزر، يقره على عمله ، ويعده بإنفاذ المدد إليه[١].

وفى هذه السنة (١٠٥هـ) غزا سعيد بن عبدالملك أرض الروم، فبعث سرية فى نحو ألف مقاتل فأصيبوا جميعا[٢]، ثم رجع سعيد فغزا ناحية الترك فبلغ قصر قطن[٣] . كما غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى ، فافتتح قونية وكمخ من أرض الروم[٤].

---

(١) تاريخ الكامل ٤/ ١٨٧ "بتصرف" .

(٢) تاريخ الطبرى ، ٧ / ٢١ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٩٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣١٥ .

(٤) تاريخ الكامل ٤ / ١٩٣ . ومما هو ملاحظ فى تاريخ هذه الفترة، كثرة التفاوت بين الروايات فى تحديد سنة الغزو،فهى مثلا عند الطبرى(١٠٥هـ)، وعند ابن الأثير (١٠٦هـ) ، كما لا يثبت اتفاق المؤرخين جميعا على الغزوة، فبعضهم يذكرها والبعض الآخر لا يشير إليها بشئ ، ثم من الواضح عندهم جميعا ، أنهم يذكرون الحادثة مختصرة فى عدة كلمات، دون تفصيل واف . ففى حادثة الجراح بن عبدالله الحكمى فى بلاد الخزر ، والتى حصره الخزر فيها بعد أن فتح عدة حصون فى بلادهم، وأرسل إلى الخليفة يزيد يستمده ، فمات قبل أن يمده . تستمر الروايات فى سرد غزوات للجراح من دون أن تبين فى أى سنة، وهل وصله مدد هشام بن عبدالملك أم لا ، وهل تخلص من حصار الخزر له أم ما يزال محاصرا .. وهكذا.

وفي سنة (١٠٦هـ) غزا على الصائفة سعيد بن عبدالملك، وانضم بحملته إلى الجراح في بلنجر، وهزموا الخزر، في منطقة تسمى "البلاذ". وعقدت معاهدة اتفق الخزر فيها على أداء الجزية. وكان هشام لما تولى الخلافة، اهتم بإنشاء الحصون، فأنشأ ستة منها. على الطريق الممتدة من أنطاكية إلى المصيصة، كما قام بترميم ملطية. وبهذا استطاع هشام أن ينقل مركز العمليات العسكرية إلى قلب آسيا الصغرى، على خلاف ما يهوى البيزنطيون . فوصلت حملة أموية إلى أذرونية، كما توجه الأسطول الأموي إلى "قبرص"[١]. بينما غزا مسلمة بن عبدالملك في البر .

وفي سنة (١٠٧هـ) عزل هشام الجراح الحكمي عن أرمينية، وعين عليها أخاه مسلمة بن عبدالملك ، مضافا إليها "أذربيجان"، فاستعمل مسلمة على أرمينية " الحرث بن عمرو الطائي"[٢]، وسيَّره على مقدمته. فلقي عسكرا للخزر، ومعهم عشرة آلاف من أسارى المسلمين، فحاربهم وهزمهم ، وقتل عامتهم ، واستنقذ الأسارى منهم ، وفعل ذلك مرة بعد مرة، وقتل ابن خاقان الخزر ، وفتح عدة مدائن[٣] وغزا الصائفة معاوية بن هشام.ثم غزا مسلمة بلاد الروم سنة(١٠٨هـ)، من نواحي الجزيرة، ففتح قيسارية، وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنا

---

(١) وديع فتحي عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ص١٠٦ .

(٢) هذا عند ابن الأثير ٤ / ١٩٨ ، أما اليعقوبي فيرى أن مسلمة استعمل رجلا أخر هو "سعيد بن عمرو الحرشي" ٢/ ٣١٧ ، وهو عند البلاذري كذلك .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣١٧ .



مـــن حصون الروم[١] . ووصلت قوات الأمويين إلى "بثينيا"، واستولت علـــى قيصــــرية، كمـــا توغل الجيش فى آسيا الصغرى، وفتح حصن "خنجرة" ، ثم حوصرت "نيقية" وإن لم يتم فتحها .

وفـــى ســـنة (١٠٩هـــ) نجح معاوية بن هشام فى فتح حصنين، همـــا: حصن طيبة، وحصن الغطاسين، وكانت هناك غزوة فى البحر تولاهـــا عبدالله بن عقبة بن نافع الفهرى[٢]. وكان الذى أدى إلى زيادة نشاط الأمويين هذا فى العامين الماضيين، هو تعرض الإمبراطور ليو لثورات داخلية من عبدة الأيقونات ، ومن جهة ثانية فقد كان الأمويون بعـــد هزيمتهم للخزر قد تفرغوا تماما لقتال الروم. على أن الخليفة لم يهمـــل أمـــر الخزر والترك تماما، وكان يدرك ضرورة مواجهة هذه العناصر باستمرار لارتباط الصراع ضدها بالصراع ضد الروم بشكل غـــير مباشـــر، لـــذا فقد أرسل مسلمة إلى الترك (١٠٩هـــ) فهزمهم، وانتصــــر عليهم، ثم أرسله للخزر (١١٠هـــ) فانتصر عليهم فى موقعة تعرف باسم "وقعة الطين"[٣]، بعد شهر من القتال الشديد[٤].

غير أن مسلمة بعد وقعة الطين لم يتابع سيره فى تطهير جيوب الخـــزر، فـــتجمعوا مرة أخرى، وهزموا المسلمين، وانسحب مسلمة، فعـــزلـــه هشام عن أرمينية ، وعين بدلا منه مروان بن محمد ، فأغار

---

(١) تاريخ الطبرى ٧ / ٤٣ ، تاريخ الكامل ٤/ ١٩٩ .
(٢) تاريخ الطبرى ٧ / ٤٩ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢٠١ .
(٣) سميت بهذا لأنه حدث مطر شديد ، فسلكوا مواضع غرقت فيها الدواب.
(٤) تاريخ الطبرى ٧ / ٥٤ .

علـــى الصـــقالبة الذين كانوا بأرض الخزر وهزمهم[١]. فلما بلغ عظيم الخـــزر كثرة من وطئ به مروان بلاده من الرجال، وما هم عليه في عدتهـــم وقوتهم، نخب ذلك قلبه ، وملأه رعبا ، فلما دنا منه أرسل إليه رســـولا يدعوه إلى الإسلام أو الحرب. فقال: قد قبلت الإسلام. فأرسل إليّ من يعرضه عليّ ففعل[٢] .

أمـــا علـــى الجبهة البيزنطية، فقد تمكن الجيش الأموى فى حملة معاويـــة بن هشام من فتح حصنى " المرة " و"صمالة" بأرض الروم[٣] فـــى ســـنة (١١٠هــ) . وفى العام التالى (١١١هــ) عاد العرب إلى قيصرية" التى يتضح أنها كانت هدفا هاما للمسلمين فى هذه السنوات، وذلـــك فـــى صـــائفة معاوية بن هشام اليسرى، التى لازمتها الصائفة اليمـــنى لسعيد بن هشام. وكانت غزوة عبدالله بن أبى مريم فى البحر. تلـــتها فـــى ســـنة (١١٢هــ) صائفة معاوية بن هشام التى افتتح فيها "خرشنة" وأحرق المزارع القريبة من ملطية .

ومـــرة أخـــرى يلتفت الخليفة إلى الخزر ، فى نهاية (١١٢هــ) فـــيوجه إلـــيهم مسلمة بن عبدالملك الذى نجح فى افتتاح عدة حصون خـــزرية، كما سيّر إلى الترك الجراح بن عبدالله الحكمى، ولكنه هُزم وقُتل . ومن كان معه بمرج أردبيل[٤].

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٩٢ .
(٢) المصدر السابق والصحيفة .
(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٤ ، وديع فتحى عبدالله: نفس المرجع ص١٠٨ .
(٤) تاريخ الطبرى ٧ / ٦٧ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢٠٧ .



ثــم ســـار مسلمة والبرد شديد والمطر غزير ، فى طلب الترك، فظــل يطـــاردهم حتى جاوز مدينة الباب، فاستخلف عليها الحرث بن عمرو الطائى ، وترك معه ثلث الجيش، وأمره بتشييد البناء فى الباب. وأن يقــيم فـــيها الحصون. ثم تَتَبع مسلمة فلول الأتراك. فافتتح وراء الـــباب عدة مدائن، واستولى على قلاع وحصون. وقد حدث أن أحرق الأعداء أنفسهم بأنفسهم ، وهم فى مدائنهم (١) .

ولعلـــه ممـــا ســـاعد على هذا النشاط الأموى، أن بيزنطة كانت تعـــانى من ثورة ضد الإمبراطور فى منطقة جزر الأرخبيل (١١٢ ــ ١١٣هــــ) ، تزعمها أيضا عبدة الصور، ورغم نجاح الإمبراطور فى إخمادهـــا إلا أنهـــا بلا شك قد شغلته عن مواجهة المسلمين. لذا حاول الخلـــيفة اســـتغلال هذه الظروف، فأرسل ابنه معاوية (١١٣هــ) إلى قبادوقيا ولكن البيزنطيين تمكنوا من صده.

فـــى هذه السنة (١١٣هــ) أيضا ، قُتل من المسلمين، من أبطال الحمـــلات، عبدالوهاب بن بخت، أحد العلماء الرواة، وكان قد غزا مع عـــبدالله الـــبطال أرض الـــروم، فلمـــا انهزم الناس عن البطال، حمل عـــبدالوهاب وهو ينادى فرسه : ما رأيت فرسا أجبن منك ، وسفك الله دمى إن لم أسفك دمك، ثم ألقى بيضته " الخوذة " عن رأسه وصاح فى الـــناس : أنا عبدالوهاب بن بخت، أمن الجنة تفرون؟ ثم تقدم فى نحر

---

(١) تـــاريخ الطبرى ٧/ ٧٠ ، على صافى حسين: مسلمة بن عبدالملك وحياته العسكرية والأدبية ، ص ٥٧ .



العدو، فمرَّ برجل يقول: واعطشاه، فقال له: تقدم، الرِّي أمامك، فخالط القوم فقتل وقتل فرسه[١].

واستمر الأمويون في نشاطهم، ففي سنة (١١٤هـ) خرجت حملة عسكرية قوية، سُميت بصائفة معاوية بن هشام اليسرى، أصاب فيها معاوية ربض أقرن، لازمتها حملة أخرى تولاها عبدالله البطال، لعل وجهتها كانت مدينة قيسارية، فالتقى بجموع للروم، هزمهم، وقتل منهم، وأسر قسطنطين[٢]. ويظهر أن سليمان بن هشام كان أحد قواد هذه الحملة التي سميت بالصائفة اليمنى أو ربما كان العكس، يعني أنه ربما كان سليمان بن هشام هو قائد الصائفة، وعبدالله البطال أحد رجالها، حيث يروى الإخباريون صائفة معاوية بن هشام اليسرى، وصائفة سليمان اليُمنى، دون أن يُصرحوا في إحداهما باسم البطال، إلا أن يكون مقاتلا شجاعا من ضمن جند الحملة، وإن كان قد نُسبت إليه غزوة في السنة السابقة (١١٣هـ) والتي قتل فيها عبدالله بن بخت[٣]!

وفي السنة التالية (١١٥هـ) ورغم انتشار الطاعون ببلاد الشام[٤]، أرسل الخليفة هشام حملة إلى آسيا الصغرى، بقيادة ابنه

---

(١) تاريخ الطبرى ٧ / ٨٨، تاريخ الكامل ٤ / ٢١٤ .

(٢) بعض المؤرخين يرى أن قسطنطين هذا كان ابنا لملك من ملوك الروم السابقين لكنني أرى أنه ربما كان من أبرز رجال الروم في هذه المعركة وفقط، فلو كان كما يقولون لظهر ذلك في مسائل الصلح ومبادلة الأسرى من بعد.

(٣) ينظر في هذا: تاريخ الطبرى ٧ / ٨٨، تاريخ الكامل ٤/ ٢١٤، نهاية الأرب ٢١/ ٤٢٤ .

(٤) تاريخ الطبرى ٧ / ٩٢، تاريخ الكامل ٤ / ٢١٧ .

معاويـــة، لم تتجاوز نتائجها بعض الغنائم . فكان ممن اشترك فى هذه الغزوة عبدالله البطال، الذى علت شهرته فى ميدان الغزو ضد الروم، مـــنذ سنة (١١٢هـــ) إلى وفاته سنة (١٢٢هـــ) [١]. ومما يذكر له أنه فى الغزوة التى خرج فيها مع معاوية بن هشام سنة (١١٥هـــ) كان له عـــند الروم ذِكْر عظيم، وخوف شديد ، فقد حُكى أنه دخل بلادهم هو وأصـــحابه لـــيلا ، فدخلوا قرية، وسمعوا امرأة تقول لصغيرها وهو يـــبكى: تَسّكت وإلا أسلمتك إلى البطال، ثم رفعته بيدها وقالت: خذه يا بطال ، فتناوله من يدها [٢] .

وفـــى ســـنة ( ١١٦هـــ) غزا الصائفة معاوية بن هشام فى بلاد الـــروم، كما خرجت حملة بحرية أموية إلى صقلية، انتصر المسلمون فـــيها بعـــد قـــتال عنـــيف، وأُسر فيها أحد قادة المسلمين الكبار، هو

---

(١) ينظر فى وفاته: تاريخ الطبرى ٧ / ١٩١، تاريخ الكامل / ٢٤٨ .

(٢) هـــذه القصة قد تثير فى نفس القارئ نوعا من الدهشة والاستغراب ، بل قد يـــراها الـــبعض ضـــربا مـــن الخرافات، لكن مما يُقرب من فهمها أن جند المســـلمين كانوا بحملاتهم المتعاقبة هذه كأنهم على الدوام فى أرض الروم، ومعه يصح أن يشيع ذكر بعض القادة والجند بين الناس، ببعض ما اشتهروا بـــه ، أو حكى عنهم ، ولنا فى هذا الشأن سابقة تذكر ، فى قصة الصحابى المشـــهور أبـــى أيـــوب الأنصـــارى الـــذى رافق جند معاوية فى حصار القسطنطينية الأول (٤٨هـــ) راجع فى ذلك : فيليب حتى : تاريخ سورية ٢/ ٤٧ ، ابراهـــيم أحمد العدوى: الأمويون والبيزنطيون ص١٦٥ . بل إن ابن الأثـــير يـــورد للبطال قصة أخرى لا تقل غرابة فى ظاهرها عن الأولى . انظـــرها فى : تاريخ الكامل ٤ / ٢٤٨ ، لكن على كل حال فقد كان البطال واســـمه (عـــبدالله أبو الحسين الأنطاكى) جنديا وقائدا شجاعا فى ميدان قتال الـــروم ، شـــهد له بذلـــك خلفاء الأمويين وقادتهم فى الحملات، كما شهد له تاريخه البطولى الرائع .

عبدالرحمــن بــن زيــاد، وكان قائد الأسطول الأموى فى هذه الحملة عبدالله بن الحبحاب الموصلى[١].

وفـــى العام التالى (١١٦هـ) كانت الصائفة اليسرى التى تولاها معاويـــة بـــن هشام ، وبلغ فيها "سيبرة"، ولازمتها الصائفة اليمنى بقيادة سليمان بن هشام ، توغلت فى بلاد الروم من ناحية الجزيرة، ثم حملة ثالثة بحرية لم تسفر إلاعن بعض الأسلاب[٢].وفى نفس العام(١١٧هــ) أرســل مــروان بن محمد عامل أرمينية بَعْثين، افتتح أحدهما حصون ثلاثة من أرض اللان، ونزل الآخر على "تومنشاه"، فصالحه أهلها[٣]. واستغل مروان بن محمد فترة الهدوء النسبى بين الأمويين والروم فى ســنة (١١٨هــ) فى تعقب الترك والخزر حتى تستقر الأمور فيها بين يديه .

ثــم ظهرت موجة جديدة من النشاط الأموى ضد البيزنطيين منذ عــام (١١٩هــ) ؛ فقد استعاد الأمويون دفاعاتهم ، ووصلوا إلى أماكن بعــيدة فـــى عمق آسيا الصغرى، مثل "برجامة" ، بالقرب من شواطئ الأرخبيل. فكانت تلك الحملة بقيادة سليمان بن هشام ، الذى انتصر فيها وعاد بغنائم .

---

(١) وديع فتحى عبدالله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ص١١١ .
(٢) أرشـــيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠ ــ ١١٠٠م ، ترجمة/ أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠م ص١٠٧ .
(٣) تاريخ الطبرى ٧ / ٩٩ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢١٩، نهاية الأرب ٢١/ ٤٢٥ .

كما وصل الأمويون إلى "سندرة" أو "حصن الحديد" بقيادة سليمان ابن هشام ، وفى هذا الحصن أُسر أحد أبناء النبلاء ويسمى "تيبريوس"، فأكرم سليمان بن هشام معاملته.

ولــم يكن بوسع الأمويين أن يتوغلوا فى أسيا الصغرى كل هذه المســافة دون تقويض حركة الخزر وتهديدهم(١)، فكان الذى مثَّل هذا الدور هو مروان بن محمد منذ تولى أرمينية وأذربيجان والجزيرة سنة (١١٤هــ)، الذى أظهر جهدا كبير فى تسكين الخزر والترك، ولم يهدأ حتى وصل إلى عاصمة الخزر "البيضاء" وعقد صلحا مع الخاقان الذى أعلــن حينئذ استعداده للدخول فى الإسلام، ويقال إن الخاقان قد هرب مــن سليمان حين دخل عليه العاصمة(٢) . وهكذا تفرغ المسلمون تماما للجــبهة البيزنطــية، بعد أن ارتاحوا أيضا من الخطر البلغارى، ومن محاولات بيزنطة استمالة البلغار إليها فى صراعها ضد المسلمين(٣).

---

(١) الخزر : هم أظهر هذه الشعوب التى سكنت تلك المنطقة، وكانت لهم مملكة، عــرف بها بحر قزوين ، فسمى بحر الخزر، ولعلهم من نفس أصل الشعوب البلغارية، حيث أقاموا معا على نهر الفولجا الذى يطلقون عليه فى لغتيهما : "إتــل" أى الــنهر، كمــا أن لســان الــبلغار مثل لسان الخزر، كما لاحظه الإصــطخرى، وعلــى النقــيض يتكلم الخزر لغة مخالفة كل الاختلاف عن التركية والفارسية، وإن كانت لهم عادة الترك فى بيع أبنائهم . وينقسم الخزر إلى بيض أو سمر كالهنود ، ويُسمو ن قرا خزر، ويدينون بعدة أديان ، منها: الوثنــية والنصــرانية واليهودية والمجوسية ، وقد كانت لهم مملكة كبيرة ، وكان البلغار يدفعون لهم الجزية، كما كان ملوك الخزر كملوك الترك يتلقبون بــــ "الخان" (معجم البلدان ٣/ ٤٣٤، المسالك ص ٢٢٥ ، عبدالمنعم ماجد : نفس المرجع ص ٢٤٠ ) .

(٢) نهاية الأرب ٢١ / ٤٢٧ .

(٣) وديع فتحى عبدالله ، نفس المرجع ص ١١٢ .

ويمكن – هنا – أن نسجل ملحوظة تاريخية مهمة ، أثرت إلى حد كبير على جهود الأمويين فى صراعهم ضد البيزنطيين ، إذ لم يكن الصراع محصورا بينهما وحسب؛ إنما كانت هناك شعوب وأمم أخرى ساهمت فى النَّيْل من جهود الأمويين، ففى الشرق من آسيا الصغرى مثلت شعوب الخزر واللان والسرير ميدانا يستلزم بذْل الكثير من الجهود فيه. حتى يتفرغ الأمويون لعدوهم الحقيقى "الروم" إضافة إلى الجراجمة الذين مثلوا أيضا دورا كبيرا فى هذا الجانب . وقد رأينا أثر هذا كله من قبل. حينما استمال البيزنطيون الجراجمة إلى صفهم ، وحينما تحالف الخزر مع الروم، وزوّج الخاقان الخزرى ابنته من ملك الروم "جستنيان الثانى" حينما هرب من بلاده فى إحدى الثورات، وعاد بعدد من الخزر ومن البلغار[1] ، وزاد خطر الخزر على المسلمين، فدحروا قواتهم مرارا . وقتلوا واحدا من أكفأ قوادهم ، هو الجراح بن عبدالله الحكمى عامل أرمينية وجماعة كثيرة من جنده[2] .

كان هذا فى الجانب الشرقى ، أما فى الجانب الغربى للإمبراطورية ، فقد استعان البيزنطيون بالبلغار والسلاف والمجريين كحلفاء لهم فى صراعهم ضد الأمويين ، وكثيرا ما عزز هذا جانبهم ، وساعدهم على إحراز النصر على المسلمين ، مثلما رأينا حينما تمكن البلغار من إلحاق الهزيمة بالقوات البحرية التى كانت تساعد فى حصار القسطنطينية الثالث، بقيادة عمر بن هبيرة سنة (٩٩هـ).

---

(١) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٤٢ .
(٢) تاريخ الكامل ٤ / ٢١٥ .

كـل هذا يعنى أن جهود الأمويين لم تكن كلها خالصة لمواجهة أعدائهـم من البيزنطيين ، وإنما ساعدت هذه القوى الأخرى فى تفتيت هذه الجهود،وإرهاق الأمويين بإعداد حملات لغزو هذه الشعوب. على هامش جهودهم المبذولة ضد الروم ، كما مثلت هذه الشعوب فى أحيان كثيرة ، دورا مهما فى تعزيز وتقوية الروم ضد المسلمين كما مر .

ونعـود إلـى ما كان بين الأمويين والبيزنطيين ، فنرى أن هذا النشـاط الأمـوى فى بلاد الروم فى تلك الفترة، لم يساعد عليه تسكين الأمويين لشعوب الخزر واللان والسرير فقط . بل ساعد عليه أيضا سوء الظروف الداخلية التى كانت تعانى منها بيزنطة.

فـى نفـس تلـك الفترة كانت الدولة العربية قد بدأت تعانى هى الأخـرى من بعض الفتن والثورات الداخلية؛ مثل ثورة أقباط الصعيد فى مصر، وثورة البربر فى شمال إفريقية، والتى امتدت إلى الأندلس، فكـان هـذا ممـا أطمع إمبراطور الروم فى توجيه حملة بحرية إلى سـواحل مصـر الشـمالية (١١٨هـ) . حيث اغتصبت بعض السفن المصـرية، ثم هاجم الأسطول البيزنطى بيروت (١٢٠هـ) ، دون أن يحقـق مكاسـب تذكر، ثم عاود البيزنطيون هجمهومهم البحرى على دمياط بمصر (١٢١هـ)، فقتلوا وأسروا عددا كبير من أهلها.

لكـن رغـم حالة الدولة الأموية الداخلية، فإن الخليفة هشام بن عـبدالملك كـان ما يزال مُمسكا بمقاليد الأمور بقوة وحزم، فلم يترك البيزنطييـن لممارسـة كل هذه الضغوط عليه؛ وإنما قام بإرسال حملة

بحرية إلى ملطية، صحيح أنها لم تحقق نجاحا، لكنها كانت بداية لمحاولة أخرى استهدفت صقلية، وكانت أكثر نجاحا من الأولى، وعادت بكثير من الغنائم، ثم خرج الأسطولان المصري والسوري معا في حملة مشتركة وهاجما كريت، وعادا بأعداد من الأسرى[١]، ففي هذا إشارة إلى أن الخليفة قد رد على الهجوم البحري البيزنطي بما يشبهه ، وبما يؤكد من هيبة دولته وجنده، كما لم تنقطع غارات الصوائف والشواتي، على الرغم من حالة الخلافة في الداخل؛ فقد غزا الروم سليمان بن هشام في صائفة (١٢٠هـ)، وافتتح سندرة، وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي، فافتتح قلاع تومنشاه[٢]، وخرب أرضها.

وفي سنة (١٢١هـ) ، غزا مسلمة بن هشام بن عبدالملك بلاد الروم ، فافتتح بها مطامير، وغزا مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب، فافتتح قلاعه ، وخرب أرضه، وأذعن له بالجزية ، في كل سنة ألف رأس يؤديه إليه ، وأخذ منه بذلك الرهن، وملكه مروان على أرضه[٣].

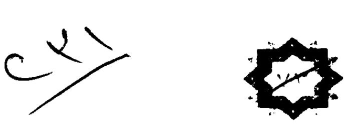
ويلاحظ هنا أن عهد الخليفة هشام بن عبدالملك تتابعت فيه الغزوات على الروم وغيرهم من الشعوب المجاورة، لكن في نهايته بدأت الدولة تعاني من مشاكلها الداخلية، صحيح أن هشاما حاول جهده

---

(١) وديع فتحي عبدالله : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي صـ ١١٤ .

(٢) تاريخ الطبري ، ٧ / ١٣٩ ، تاريخ الكامل ، ٤ / ٢٣٩ .

(٣) تاريخ الطبري ، ٧ / ١٦٠ .



فــى التغلب عليها والاستمرار فى عملية مناوشة أعدائه. لكنها ستمثل فى النهاية بداية ضعف الدولة أمام عدوها الأول "الروم" ، ومع كل تلك الظــروف أخرج هشام حملة إسلامية كبرى إلى آسيا الصغرى. كانت أخــر نشاط عسكرى له ضد الروم. قصدت الحملة إلى ثلاث محاور. فاتجهت مجموعة منها إلى غرب طوروس سنة (١٢٢هــ)، ومجموعة أخــرى إلــى قبادوقــيا وعادت سالمة ، بعد أن قامت بأعمال السلب والنهب، وكان على رأسها سليمان بن هشام، والمجموعة الثالثة توغلت فى آسيا الصغرى وحاصرت أوكروينون .

وخــرج الإمبراطور البيزنطى لمواجهة هذا الهجوم ، وبخاصة تلــك المجموعة الأخيرة التى اقتربت من عمورية. وبعد معركة شرسة حقــق الإمــبراطور الــذى اصطحب ابنه معه انتصارا قويا على جند الأمويــين ، وكبدهم خسائر جمة . وقد أدى الخزر دورا هاما فى هذه المعــركة لصــالح البيزنطيين . وقد كانت المعركة فى بدايتها لصالح المســلمين حتى أن ابن الإمبراطور قد وقع فى الأسر ، ولكن تحولت فــى نهايتها لصالح البيزنطيين، وجُرح القائد عبدالله البطال، ثم مات. وفُك أسر ابن الإمبراطور[١] .

ومن ثم تعد موقعة أوكروينون آخر المواقع الكبرى بين الأمويين والبيزنطيــين فبعدها تراجع النشاط الأموى من قلب آسيا الصغرى إلى

---

(١) تاريخ الطبرى ٧ / ١٩١ ، نهاية الأرب ، ٢١/ ٤٥٨ ، وديع فتحى عبدالله : نفس المرجع ص ١١٥ ، دحلان : الفتوحات الإسلامية ١/ ٢٣٤ .



الشـــرق. مـــثلما تراجعت تلك الدفعات العربية النشطة، ولم يعد حال الحملات إلى سابق عهدها أبدا. فنشاط الأعوام (١٢٣ ــ ١٢٥هـ) لم يخرج عن كونه صوائف عادية ، ليس لها نتائج هامة[١] . منها صائفة سليمان بن هشام (١٢٣هـ). وصائفة مسلمة وسليمان ابني هشام سنة (١٢٤هـــ) ، وقد هزمهما الإمبراطور بنفسه في آخر معركة له قبل موتـــه، ثم كانت أخر صائفة في عهد خلافة هشام تلك التي خرج فيها النعمان بن يزيد بن عبدالملك سنة (١٢٥هـ) [٢].



(١) وديع فتحي عبدالله: نفسه المرجع ص ١١٧ .
(٢) تاريخ الطبري ٧ / ١١٩ ، ٢٠٠ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢٥٤ .

ضعف النشاط الأموي ضد البيزنطيين :

مثلت موقعة أوكروينون. آخر موقعة مهمة في تاريخ الصراع الطويل بين الأمويين والبيزنطيين. وقد لوحظ في تلك الأثناء أن الحملات الأموية باتت غير ذات أثر فعال في نتائجها. في حين رأينا الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث قد بدأ يُشرك ابنه قسطنطين الخامس في قيادة جيوش الدولة في حربها ضد المسلمين ، مُمدا إياه بمجموعات قوية من الفرسان المدربين . أما في الجانب الإسلامي . فقد بدأت بوادر المشاكل والفتن الداخلية، تعوق نشاط الأمويين الخارجي . ومما لا يخفى . فإنه طيلة هذا الصراع بين القوتين. كانت الظروف الداخلية لكل منهما تؤثر سلبا أو إيجابا على نتائج كلتاهما تجاه الأخرى.

والآن ، وقد مات ليو الثالث سنة (١٢٤هـ) ، وتلاه هشام بن عبدالملك (١٢٥هـ). فإن الساحة السياسة تُبرز اختلافا في الأوضاع. وتغايرًا في موازين القوى ، بين إمبراطور شاب قوى، ورث ملكا ثابت الأركان، وبين خليفة أموى مُثقل بهموم الدولة في الداخل، وحدود مترامية ضَعُفَت يَدُ الدولة عن أن تُقرها وتُسكِّن الأوضاع بها . فبات من الواضح أن حلقة جديدة ذات ملامح وخصائص مختلفة ستنشأ بين الطرفين ، بمعنى أنه ستخف وطأة الأمويين في أسيا الصغرى وأعماقها، وعليه، فسبدأ البيزنطيون مهاجمة ثغورها ومرافئها التي بُذل في سبيل بنائها وشحنها وإقرارها الكثير والكثير من الجهود الأموية ، منذ عهد معاوية بن أبي سفيان إلى الآن .

نتيجة لكل ما سبق ، لم يستطع الخليفة الأموى الجديد "الوليد ابن يـزيد بـن عبدالملك" أن يتوجه للروم سوى بحملة بـرية واحدة سنة تَوَلِّيه الخلافة (١٢٥هـ). حين أخرج أخاه "الغمر بن يزيد" بحملة إلى بـلاد الـروم، يبدو أن لم يكن من خبرها سوى خبر خروجها ، أى لم تحقق شيئا. لكن الحملة البحرية التى لازمتها، وكانت بقيادة "الأسود بن بـلال المحاربى"، سارت إلى قبرص، فخيَّر الأسود بن بلال أهلها بين المسـير إلـى الشام إن شاءوا، وإن شاءوا إلى الروم، فاختارت طائفة مـنهم جـوار المسلمين. واختار آخرون أرض الروم، فانتقلوا إليها[١] وهـذه السياسـة التى اتُّبعت مع أهالى قبرص تُبين بما لا يدع مجالا للشـك أن الأمويين قد بدأوا يقلصون من دوْرهم ونشاطهم فى ممتلكات الروم ، تبعا لضعفهم العام، وقلة نشاطهم .

فلما أدرك البيزنطيون كل هذا ، خرجوا هم إلى زبطرة[٢]، ذلك الحصن القديم الذى افْتُتح فى زمن الفتوحات الإسلامية الأول، على يد حبيـب بـن مسلمة الفهرى . وكان ذلك من الروم بقصد عرقلة آخر جهـود الأمويين فى حفظ الثغور وتقوية دفاعاتها ، ولبيان أن عهدا جديدا قد بدأ بتولى قسطنطين الخامس عرش الإمبراطورية.

ومـن ذلـك التاريخ ( ١٢٦هـ) ، بدأ اضطراب حبل بن أمية وهاجـت الفتنة فى كل مكان . فى نفس الوقت الذى أخذت الدعوة فيه

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٧ ، تاريخ الكامل ٤/ ٢٦١ ، نهاية الأرب ٢١/ ٤٦٨

(٢) زبطرة: مدينة بين ملطية وسميساط والحدث، فى طرف بلاد الروم ، (معجم البلدان ٣/ ١٣١ ) .

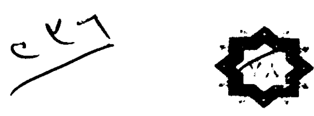
لبني العباس تسري في نفوس الناس، يغذيها ذلك الاختلاف الذي وقع بين أبناء الأمويين ، واختلاف الناس عليهم ، ورواج فكر الموالي الناقم على بني أمية وعمالهم. وتلك حكمة الله في تداول الدول والأيام.

والخلاصة . فإن نظام الصوائف والشواتي قد تهاوى، بعد ما شُغِل الأمويون بأمر أنفسهم، وصراعهم على العرش ، حتى إن بعض المؤرخين ومنهم اليعقوبي، يرى أن صائفة الغمر بن يزيد بن الوليد التي خرجت سنة (١٢٥هـ). إلى بلاد الروم . كانت آخر عملية في حملات الصوائف والشواتي الأموية.ولكن من الثابت عند الطبري وابن الأثير أن آخر صائفة خرجت إلى بلاد الروم كانت سنة (١٣٠هـ). حينما غزا الوليد بن هشام، فنزل العمق، وبنى حصن مرعش[١].

والذي يمكن أن يستنتجه الباحث هنا ، أن سلسلة هذه العمليات قد توقفت ، وانعدمت جدواها بنهاية عهد هشام بن عبدالملك ، باستثناء هاتين الصائفتين الأخيرتين : صائفة الغمر بن يزيد (١٢٥هـ) . وصائفة الوليد بن هشام (١٣٠هـ)، ومن ينظر في تاريخهما يتبين له واقع الحال، فبينهما خمس سنوات، في حين كان العام الواحد من قبل يشهد خروج حملات عدة، وأيضا فإن أثرهما ضعيف لا يقاس بنتائج الحملات السابقة، في أوج قوة الأمويين .

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٠١ ، تاريخ الكامل ٤ / ٣١٦ .



لكــن كل هذا ــ على كل حال ــ لا يقلل من جهود الأمويين فى هذا الميدان ، ولا يجب أن يطمس تلك الصفحات المضيئة التى سُجلت فـــى هـــذا الـــباب طيلة ثمانية عقود ونصف . وإنه لولا هذه الجهود الأموية والسياسة الدعوبة فى مواجهة الدولة البيزنطية لكان الحال غير الحـــال، ولما اتسعت حدود الدولة الإسلامية إلى هذا الواقع، وكل ذلك مثّلت فيه الإمبراطورية البيزنطية ، العدو الأول ، بل والأوحد والأقوى ضد الأمويين ٠





## خاتمة البحث

بعد هذا العرض الموجز ، والذى تتبعنا فيه نشاط الأمويين فى ميدان الصوائف والشواتى ، يمكن أن نخلص إلى عدة استنتاجات مهمة، منها :

**أولاً** : أثبت الأمويون أنهم حكام أفذاذ فى ميدان السياسة والحرب تجاه أعدائهم البيزنطيين ، الذين مثلوا الجبهة النشطة التى يتخوفها المسلمون دائما ، فكان الأمويون باستحداثهم لحملات الصوائف والشواتى، على أعلى مستوى فى فَهْم طبيعة عدوهم، وسياسته وأهدافه.

**ثانيا** : حققت هذه العمليات لخلفاء بنى أمية الأهداف المرجوة منها؛ إذ غدت مدرسة وميدانا عسكريا، تدرب فيه الجند، وتخرج منه القادة ، وخبروا من خلاله بلد العدو ودروبها وطبيعتها ، كما شغلوا عدوهم التقليدى فى عقر داره بدفاع مستمر وغير ثابت، لولاه لتعددت حملات الروم العامة لغزو بلاد المسلمين، مضافا لكل ذلك، ما كان المسلمون يُحصلونه من غنائم وأسلاب فى هذه العمليات .

**ثالثا** : فرضت هذه العمليات على الأمويين مهمة الحفاظ على مدن الثغور والعواصم ، بل واستحداث الكثير منها، كيما تُمثل حوائط

صدًّ لهجمات البيزنطيين على ممتلكات المسلمين ، وتبقى عاصمة الأمويين مصانة آمنة لا يقربها جند الأعداء ٠

**رابعا** : غدت عمليات الصوائف والشواتى، سياسة عامة وثابتة، لابد منها لدرء خطر العدو، ولم تنقطع إلا فى الحالات التى كانت الدولة تنشغل فيها بالمشاكل والفتن الداخلية، وأكد على أهمية هذه العمليات، أنها لم تقتصر على عصر الأمويين ؛ بل امتدت ردحا طويلا من الزمن فى عصر دولة العباسيين من بعد ٠

**خامسا** : بدا أنه لولا هذه العمليات، وما حققته من أهداف ونتائج، ما استطاع الأمويون مداهمة عاصمة البيزنطيين، وطَرْق أبوابها ، وفَرْض الحصار عليها مرات عديدة، ولولاها أيضا ، لربما تاهت قوات الأمويين فى دروب هذه البلاد وشعابها، ولكانت صيدا سهلا لجموع الروم والشعوب الموالية لهم ، الذين كانوا فى هذه الدروب والشعاب كالنمل والجراد ٠

**سادسا** : يصح لنا أن نقول إذن : إن نجاح الأمويين فى هذه العمليات ضد الروم عبر أرمينية وآسيا الصغرى، قد ساعد من غير شك فى إنجاح عملياتهم العسكرية ضد الروم فى شمال إفريقية ، حيث كان شُغل الروم الشاغل ، هو التصدى لهذه العمليات من ناحية ، ومقاومة المد الإسلامى فى شمال إفريقية من ناحية أخرى، مما ساعد فى عدم تفرغ الروم لجبهة واحدة بعينها٠

**سابعا** : إذا كان مما أُخذ على بعض أبناء البيت الأموى انغماسهم فى اللهو والترف وملذات الحياة، فإن فريقا كبيرا منهم – فى المقابل قد تمرس فى حرب الروم من خلال هذه الحملات، حيث كان الخلفاء – فى الغالب – يحرصون على اشتراك أبنائهم وإخوانهم فيها جندا أو قادة ، فأبلوا فى ذلك الدور أحسن البلاء، وأثبتو كفاءة ومقدرة عاليين ٠

**ثامنا** : كان تصاعد نشاط هذه العمليات أو خفة حدتها انعكاسا لحال الدولة فى الداخل؛ ففى العهود التى استحكمت فيها قوة الخلفاء، واستقر سلطانهم فى الداخل، زاد نشاط هذه العمليات ، وعظُمت آثارها ، وحققت أهدافها المرجوة وزيادة ، مثلما كان فى عهد معاوية بن أبى سفيان مؤسس هذه السياسة ، وفى النصف الثانى من فترة خلافة عبدالملك بن مروان ، ثم عهد الوليد بن عبدالملك كله ، ومن بعده عهد سليمان ، ثم عهد هشام بن عبدالملك . بينما توقفت فى بعض العهود، أو قلّ نشاطها ، تبعا لعدم استقرار أمور الدولة فى الداخل، كذلك كانت – فى بعض الأحيان – تخرج لمجرد العادة، دون أن يكون لها أثار كبرى ٠

**تاسعا** : لاحظنا أنه بعد عهد معاوية بن أبى سفيان ، غدت هذه العمليات وكأنها سياسة عسكرية عامة ، فلم تعد تقتصر على صائفة وشاتية فى العام الواحد ، بل تعددت إلى صوائف وشواتى، كما أخذت أعداد الجند فيها تزداد شيئا فشيئا، حتى



رأينا فى هذه الحملات ما كان فيها من الجند ألف وألفان وعشرة آلاف .. بحيث أصبح من الصعب تمييز حملات الصوائف والشواتى عن الحملات الأموية العامة ، بل صارت كل منهما تعنى الأخرى. طبعا باستثناء الجيوش العامة التى حاصرت القسطنطينية ثلاث مرات .

**عاشرا** : لوحظ فى تدوين المؤرخين المسلمين لهذه الحملات ، أنهم لم يولوها عناية كبرى فى السرد والتحليل والتفصيل، مثلما أعطوا فتوحات المشرق وخراسان ، فجاءت رواياتهم لهذه الحملات فى الغالب — موجزة مختصرة، لا تفى للدارس بكل ما يرجوه فى دراستها .

جزى الله بنى أمية عن الإسلام والمسلمين خيرا، فقد بذلوا من الجهد ما عوضوا به ما فاتهم فى أول سنى الإسلام ، ووسعوا أرجاء الدولة حتى صارت أعظم إمبراطورية فى زمانها ...

والحمد لله أولا وآخرا ،

**د. مغاوري عبيد منصور**





**أبو الفدا ( الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل) : ت٧٣٢هـ**

المختصر فى أخبار البشر . المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٢٥هـ

**ابن الأثير(محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى)ت٦٣٠هـ :**

تاريخ الكامل ، بيروت ١٩٧٨م ٠

**الإصطخرى ( ابو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسى )** توفى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى :

مسالك الممالك ، تحقيق : محمد جابر عبدالعال . القاهرة ١٩٦١

**البلاذرى ( ابوالعباس أحمد بن يحيى بن جابر)** ت٢٧٩هـ:

فتوح البلدان ، تحقيق : د/ عبدالله أنيس الطباع، د/ عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف . بيروت ١٩٨٧م ٠

**الطبرى ( أبو جعفر محمد بن جرير )** ت ٣١٠هـ:

تاريخ الرسل والملوك تحقيق / محمد ابو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٩م ٠

**قدامة بن جعفر بن قدامة** ، ت ٣٢٩هـ :

الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق د/ محمد حسين الزبيدى، دار الرشيد ببغداد ١٩٧٩م ٠

**النويرى ( شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ) ت ٧٣٣هـ:**

نهاية الأرب فى فنون الأدب . الجزء الحادى والعشرين تحقيق / محمد على البجاوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

**ياقوت(شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى)ت٦٢٦هـ:**

معجم البلدان . طبعة بيروت ، ١٩٧٧م .

**اليعقوبى(أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)ت٢٨٤هـ:**

تاريخ اليعقوبى . دار صادر ، بيروت ، ( بدون ) .

**إبراهيم أحمد العدوى ( الدكتور ) :**

الأمويــون والبيزنطــيون ، الطــبعة الثانية، دار الجيل للطباعة بالفجالة ١٩٦٣م.

**أحمد زينى دحلان ( الشيخ ) :**

الفتوحات الإسلامية . القاهرة ١٣٣٠هـ .

**أرشيبالد : لويس :**

القــوى الــبحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠ ـ ١١٠٠م . ترجمة / أحمد محمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠م .

**إسماعيل سرهنك باشا ( الأميرالاى ) :**

حقائق الأخبار عن دول البحار . القاهرة ١٣١٢هـ .




**عبدالعظيم رمضان ( الدكتور ) :**

الصراع بين العرب وأوربا.طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م.

**عبدالمنعم ماجد ( الدكتور ) :**

التاريخ السياسى للدولة العربية، الطبعة الثامنة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٨م .

**على صافى حسين :**

مسلمة بن عبدالملك، حياته العسكرية والأدبية، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م .

**علية عبدالسميع الجنزورى ( الدكتورة ) :**

الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م .

**فيليب حتى ( الدكتور ) :**

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة : د/ جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت ١٩٨٥م .

**محمد الطيب النجار (الدكتور) :**

الدولة الأموية فى المشرق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧م.

**وديع فتحى عبدالله (الدكتور) :**

العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٩٠م .

# فهرست الموضوعات



| الموضوع | الصحيفة |
|---|---|
| المقدمة | ٣ |
| الصوائف والشواتى بعد عهد معاوية | ٥ |
| عبدالملك بن مروان والجراجمة | ١١ |
| الصوائف والشواتى فى عهد عبدالملك بن مروان | ٢١ |
| خلافة الوليد بن عبدالملك | ٣٠ |
| حصار الأمويين الثالث للقسطنطينية | ٣٨ |
| الصوائف والشواتى بعد عهد سليمان بن عبدالملك | ٥٢ |
| آخر حلقات النشاط الأموى ضد البيزنطيين | ٦١ |
| ضعف نشاط الحملات فى أواخر عصر الأمويين | ٧٥ |
| خاتمة البحث | ٧٩ |
| مناهل البحث | ٨٣ |
| فهرست الموضوعات | ٨٦ |



